جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

رقم: ق44/ 2020م

إعداد الطالبتين:

حتنة مريم - بلوطة فريدة

الانتماء المكاني في شعر أبي الطيب المتنبي

يوم:15/09/2020

لجنة المناقشة:

حسان زرمان	أ . محاضر ب	جامعة بسكرة	رئيسا
سليم كرام	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
هنية مشقوق	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله السميع العليم ذي العزة والفضل العظيم والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ شكر الله العلي القدير الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على إتمام هذا العمل.

كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان للدكتور سليم كرام الذي تكرم بالإشراف على هذا العمل و لم يبخل علينا بالنصائح القيمة وتوجيهات في كل خطوات البحث جزاه الله خيرا.

والشكر أيضا إلى المناقشين الذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهما أهل لسد خللها وتقويم معوجها.

كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من أعاننا في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد لإتمام هذا العمل.

فالشكر لمن يستحق الشكر

مقدمة

يعد المكان جزءا من الشعرية العربية، وعنصرا هاما من عناصر النص الأدبي، فهو صديق الشعراء منذ أنطقهم فضاؤه بأجمل القول مخضوبا بأحاسيسهم، فقد امتاز الشعر العربي بكونه شعرا مكانيا بامتياز مرتبط بولاء مطلق للبيئة التي أنتجته، وهذا الذي وسعنا هذا البحث على استظهاره في شعر المتنبي، لذلك وجب النظر إليه نظرة انتمائية باعتباره حاضن للوجود الإنساني، فالمكان والانتماء مرتبطان ولا يمكن التفريق بينهما.

وأمام هذا الوجود الطبيعي للمكان في شعر شعرائنا العرب، لفت انتباهنا هذا التساؤل إلى أي مدى كان تعبير الشعراء عن أماكن وجودهم، دليلا على قوة إحساسهم بالانتماء إليه؛ أي ما قيمة حضور المكان الشعوري في هذا الكم الهائل من الشعر، ومادام أبو الطيب المتنبي كان كثير التردد والترحال كيف يمكن قياس ولاء هذا الانتماء؟

وأمام رغبتنا في معرفة ضوابط المكان في الشعر القديم، وميلنا في الغوص لاكتشاف مظاهر معمقة عن دور المكان في شعر هذه الفترة الزمانية، هكذا تشابكت في أذهاننا فكرة قياس هذا الشعور بالانتماء وما هي الأدوات الفاعلة في هذا القياس

وبحكم تخصصنا في الأدب القديم وتأسيسا على ما سبق جاء البحث موسوما بـ"الانتماء المكاني في شعر أبي الطيب المتنبي"، وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو رغبتنا في معرفة حياة المتنبي والأمكنة التي ذكرها في شعره، فهو يتمتع بالأسلوب مميز وطموحات لا حدود لها، فقد ملأ الدنيا وشغل الناس بفخره وذاته المتعالية، وقد تحول هذا الطموح إلى التنقل من مكان إلى مكان لتحقيق رغبته وإحساسه بالانتماء فيها والإشكالية المطروحة:

ما هي حقيقة موقف الشاعر القديم من المكان؟ وما هي أهم ملامح الانتماء للمكان في شعر المتنبي أمام تعدد مظاهر المكان في ضوء خلوها جميعا من ولاء القوم والقبيلة؟ وهل تستطيع الآليات اللغوية والفنية كشف ذلك الولاء؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة تضمنت مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة.

تناول المدخل حوصلة حول المفاهيم التي جاءت في العنوان والتي تمثلت في تعريف المكان لغة واصطلاحا ومفهوم الانتماء وكذلك المكان بين الرؤية الشعرية والإحساس بالانتماء.

أما الفصل الأول وسم بتعداد مظاهر الانتماء في شعر أبي الطيب المتنبي، وفيه تناولنا التعدد المرحلي التي مرت به حياة الشاعر وهي مظاهر الانتماء في شعر ما قبل الاستقرار في بلاط سيف الدولة، ثم شعر فترة الاستقرار وأخيرا فترة الخروج من البلاط والتمرد.

ثم جاء الفصل الثاني موسوما بـ "آليات إبراز المكان في شعر المتنبي"، حيث تناولنا فيه الآليات اللغوية والآليات الفنية لإبراز المكان.

وختمنا بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

واتبعت هذه الدراسة بعضا من المناهج التي تطلبتها الممارسة النقدية، كان على رأسها المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب في التحليل والتعليق والوصف على شعر المتنبي، وعلى العموم تمت الاستعانة بالمنهج الأسلوبي والمنهج التاريخي.

كما اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها ديوان المتنبي، وكذلك ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي الذي كان لنا سندا في هذا البحث وذلك في مساعدتنا كثيرا على فهم المعنى وأيضا كتاب الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، فكتاب الانتماء في الشعر الجاهلي لفاروق أحمد سليم، بالإضافة إلى العديد من الكتب التي لها علاقة بالموضوع.

وكأي بحث صادفتنا بعض الصعوبات، كان أهمها صعوبة تلمس مظاهر الانتماء، فالمتنبي لم يصرح بذلك ولهذا وجب علينا القياس التأويل وغيرها من آليات الاستكشاف، خاصة في ظل انقطاع التواصل المباشر مع المشرف بسبب الظروف المرضية التي عرقلت مسار بحثنا لانجازه.

وفي الختام نتوجه بجزيل الشكر والامتنان لأستاذنا الكريم الدكتور سليم كرام، الذي لم يبخل علينا بالنصح والإرشاد والتوجيه، ونشكر له حرصه على تقويم وتصويب هذا البحث، فجزاه الله عنا كل خير، كما نتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة لتقويمهم هذا البحث.

المدخل

تحديد مفاهيمي للمصطلحات

أولا: تعريف المكان

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ثانيا: الانتماء

أ- الانتماء لغة

ب- مفهوم الانتماء

ثالثا: المكان بين الرؤية الشعرية والإحساس بالانتماء

تمهيد:

الشاعر ابن بيئته وصديق طبيعته لا يقوى عن الانفصال عنها، لها ولاؤه وله شرف الانتماء إليها، وقد درجت القرائح الشعرية منذ الجاهلية على إبراز هذا الولاء، والافتخار باعتراف الشاعر بانتمائه لقبيلته مهما كانت صورتها، ووضعها بين القبائل أ لم يقل أحدهم:

وما أنا إلا من غزيّة إن غوتْ ****** غويت وإن ترشد غزية أرشد

فقد كانت خيانة الأرض عارا على الرجل، يلاحقه ويُنعت به ولا يسقط عنه حتى بعد موته، لذلك مجدت العرب اعتراف الرجل بانتمائه لوطنه، فقد عن السلف قولهم "حب الوطن من الإيمان"، وقد يصيب إحساس الانتماء اتساع مدلول، يجعل الرجل يوسع دائرة ولائه ويضيف لها أماكن أخرى، كان لها تأثير في حياته، لذلك يمكن إدراك أن مفهوم الانتماء يختلف عن مفهوم التعصب ضيق الأفق محدود التوجه، والانتماء ببعده الإنساني شاع أكثر في زمن التخلص من براثن الجاهلية وعصبيتها القبلية، بانفتاح آفاق الإنسان على سماحة الدين الإسلامي، وزاد مدلوله توسعا بالممارسة الفعلية من خلال اختلاط الأجناس، وتداخل الثقافات واتساع الغايات والاحتكاكات، وتطور الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية في العصرين الأموي والعباسي، حين تطلبت الأمور من الشعراء وممارسي العلوم الترحال والإقامة في أصقاع متعددة مختلفة، فحرصوا على الإعلان عن ولائهم المطلق للمكان في ثنايا منطقهم.

ويرمي هذا الفصل إلى محاولة تحديد مفهوم الانتماء المكاني، وإبراز مدلوله الذي لا يمكنه أن يتمظهر في القصيدة بأبعاده اللغوية، لذلك تطلب البحث فيه ضرورة تحديد مفهوم المكان، بما تسمح به الاستفادة من فلسفته في بناء تصور جمالي متكامل.

أولا: تعريف المكان:

أ-لغة: لا تبتعد معاجم اللغة العربية في مجموعها على ما تواضع على لفظة مكان من معنى، ويعد "لسان العرب" لابن منظور، أكثر هذه المعاجم عرضا وتفصيلا لهذه الصيغة كان بذلك مرجعا لغيره من المعاجم والقواميس فقد أورد ابن منظور لفظ "مكان" تحت الجذر (مكن)، فقال: «المكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع. قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنّما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية»(1).

فهنا نجد ابن منظور عد لفظة المكان على أنها الموضع والجمع ويقول أيضا: «المكان والمكانة واحد (...) لأنه موضع لكينونة الشيء فيه»(2).

كما تحمل بعض آيات القرآن ذكر لفظ المكان بمدلولات متنوعة حيث نجده في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾(*) أي يقصد بها الموضع المعزول والمنفرد، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾(**) ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾(***) «وتدل هذه اللفظة على المنزلة أي المكانة»(3).

من خلال هذه التعرجات الدلالية للمكان، يتبين أنه لفظ متعدد الاستخدام يحمل أكثر من معنى، وإنما تأتى له ذلك من خلال ارتباطه بالإنسان، فكل ما كانت له علاقة بالجانب النفسي للفرد، إلا واتخذ من سعة سياق النفس تلونا وتنوعا في الاستخدام.

---

(1). ابن منظور، لسان العرب، مج14، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 12000م، ص113.

(2). المصدر نفسه، صفحة نفسها.

(*). سورة مريم، الآية 16.

(**). سورة يونس، الآية 22.

(***). سورة ق الآية 41.

(3). حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ، عمان، ط1، 2013م، ص28.

ب-اصطلاحا:

يرى باديس فوغالي في تعريف المكان أنه «اسم مشتق يدل على ذاته أي ينطوي معناه على إشارة دلالية ممتلئة، تحيل إلى شيء محجم مائل، ومحدد له أبعاد ومواصفات، ولفظة المكان مصدر لفعل الكينونة، والكينونة هي الخلق الموجود، والمائل للعيان الذي يمكن تحسسه، وتلمسه»(1).

نستنتج أن المكان هو الكينونة أي هو الوجود، حيث يمكن لنا أن نتحسسه أو نلتمسه، فهو دلالة نفسية أو ملموسة.

كما يتخذ المكان مفهوما واسعا إذا اقترن بالكائنات الحية، وفي هذا يقول فاروق أحمد اسليم: «نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية، فالمكان هو الموضع الذي يولد (يحدث ويخلق ويوجد) فيه الإنسان، وهو الموضع الذي يستقر فيه، وهو الموضع الذي يعيش، ويتطور (يصير) فيه، إذ ينتقل من حال إلى آخره وما ينطبق على تطور حياة الإنسان الفرد ينطبق على تطور حياة الجماعات والأمم»(2).

من خلال هذا التعريف تتبين طبيعة المكان وأهميته بالنسبة للإنسان، فهو ملجأ الفرد في تحقيق الحياة الإنسانية، وأنه الموضع الذي ينشأ ويتطور ويأمن فيه، «ومن ثم فإن المكان لا يكون ذا جدوى، ما لم ترتبط به الحياة، سواء أكانت هذه الحياة حياة البشر، أم حياة الحيوان. فأي كوكب من الكواكب، وأي مكان لم يكتشف بعد، ولم تخترقه الحياة ليس مكان، فالمكان هو الموضع الذي تذب وتزخر فيه الحياة، لتوفره على العناصر الأساسية للحياة من ماء، وهواء، وتراب»(3).

---

(1). باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2008م، ص169.

(2). فاروق أحمد اسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1998، ص192.

(3). باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص170.

وهكذا فالمكان مصطلح يطلق على موضع مرتبط بشرط أساسي وهو الحياة، وهي الأخرى تمتاز بثلاثة عناصر أساسية وهي: الماء، الهواء والتراب.

أما ياسين النصير، فيتحدث عن مفهوم المكان بمدلوله الارتباطي ويعبر عنه من خلال وضعية الترابط الانتمائي، أي بما يشعر به الفرد من أنه داخل محيط اجتماعي فيه غيره أيضا، فيقول: «أنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزاء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه»(1)، فالمكان مرتبط بالواقع الاجتماعي. وذلك من خلال الارتباط بين الإنسان ومجتمعه، ولهذا يحمل منه أخلاقه وأفكاره.

يعد مفهوم الانتماء من المفاهيم المتداولة، والتي تكون حاضرة في جميع المستويات، حيث أن هذا المصطلح يكون متداولا في جميع الأوساط كالدينية والإعلامية والثقافية وغيرها، فالإنسان يسعى لتحقيق انتماءاته في الأمكنة المرغوب فيها.

ثانيا: الانتماء:

أ- الانتماء لغة:

يذهب ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة في تعريفه اللغوي للانتماء إلى أن «نمى يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال ينمي: زاد، ونمى الخصاب ينمي وينمو، إذا زاد حمرة وسوادا وتنمى الشيء: ارتفع من مكان إلى مكان»(2). و«انتمى إليه: انتسب»(3).

(1). ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دط)، (دت)، ص ص16، 17.

(2). أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج5، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1979، ص ص 479، 480.

(3). مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص1340.

فالانتماء إحساس بالزيادة في شيء ما، وحينما تنتمي إلى مجموعة عينية أو معنوية، فأنت قد زدت في عدد عناصرها، أو مستوى تفاعلها مع غيرها من الفضاءات المشابهة أو المقاربة، فالفرد بإحساسه بالانتماء للمكان قد بات يشعر أن المكان اكتسب عددا جديدا من الأنصار، وهذا ما يشير إليه معنى الارتفاع والعلو وكذلك الانتساب.

ب-مفهوم الانتماء:

إن الانتماء ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين، والمحددين زمانا ومكانا بعلاقات تشعرهم بوحدتهم، وبتمايزهم تمايزا يمنحهم حقوقا. ويحتم عليهم واجبات، وهو متطور بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل»[1].

فارتباط الناس فيما بينهم برباط الانتماء من حيث الزمان والمكان، يجعلهم في علاقة ترابط يشعر الفرد من خلالها بتميزه، فيأخذ حقوقه ويؤدي واجباته، وكذلك انتمائه إلى المكان الأفضل والمريح الذي يشعر فيه بالراحة والطمأنينة.

«فبين الإنسان والانتماء علاقة تلازمية، يتنوع فيها التلازم (الانتماء) بتنوع العلاقات الإنسانية في مكان وزمان محددين، فهو ظاهرة إنسانية قدمى يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني نفسه»[2].

من هنا فإن الإنسان منذ وجوده على الأرض لم يستطع أن يفترق عنها، فالإنسان والمكان متلازمان والانتماء عامل بينهما.

المكان بين الرؤية الشعرية والإحساس بالانتماء:

يمثل المكان بالنسبة للشاعر فضاءً نفسيا لا يمكن الاستغناء عنه، ويكمن دوره في إغناء تجربة الشاعر وإمداد قريحته بالصور، التي يكون لها الأثر العميق في نفسيته المبدعة الخلاقة، فالمكان راحته وظله الظليل الذي يستريح فيه خلال لحظة الإبداع.

(1). فاروق احمد اسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص14.

(2). المرجع نفسه، ص09.

فقد «وعى الإنسان منذ الأزل ضرورة المكان وأهميته في حياته، وكان هذا الوعي باستقراره وثباته شرطا من شروطه وديمومته وبقائه»[1]، ويبقى الارتباط بالمكان ضرورة كبيرة في حياة الإنسان فهو المنطلق الأساسي في حياة الإنسان وانتمائه إليه.

المكان بنسبة للشاعر مكانان؛ يمثل أحدهما حيز المعاش ومجمع الأهل والخلان والأحبة، وهو ما يعرف بالمكان الموضوعي، يمنحه الإنسان ولاءه ويصدق فيه حبه، وتشغل عافيته وحرمته وحريته اهتمامه وتفكيره، «يمثل الخير الأكبر في حياة الإنسان. ففيه يعيش، ويحتمي، وإليه يعود بعد الموت، فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان، بل؟ وحتى أن هذا الكون الفسيح بنفسه، الكبير بحجمه لابد من مكان يحتويه»[2]، ومكان آخر فني؛ يمثل فضاء الشاعر الخاص وخلوته الإبداعية، يناديه ويرتجي في حلوله به جميل التعبير وبديع التصورات، ونظير الجمال الفني وإليه يقدم ابتهالاته ويشعر فيه بقوة الانتماء، نمارس «فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور»[3].

وجماليات المكان تتناسب في عمق وقناعة المبدع وجماليات العمل الفني الكلية، «في حركة مستمرة وديمومة دائمة وذلك من خلال دفع بالأحداث إلى الأمام ودائما وفق ربط الصلة بين الماضي والحاضر هذه الصلة التي تجعل الإنسان في علاقة دائمة مع المكان... فيؤثر فيه ويتأثر به»[4]، فالمكان والإنسان لهما صلة مترابطة، وتكمن علاقتهما

(1). محمد جواد حبيب البدراني وجهان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة، سكان الهلاك شامر معيوف أنموذجا، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص27.

(2). محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (484هـ-897هـ)، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط4، 2012، ص7.

(3). غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص6.

(4). فواز معمري، جماليات المكان في الشعر الجاهلي، المعلقات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص ص47،48.

مع المكان الذي يعيش فيه الفرد، فهما متبادلين في علاقتهم في التأثير والتأثر وهذا ما يدفع الشاعر إلى التعبير عن ذلك المكان باستخدام عاطفته وأحاسيسه.

ومن هنا كان « للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى وميزته التي تشده إلى الأرض، ولا غرو فالمكان يلعب دورا رئيسيا في حياة أي إنسان فمنذ أن يكون نطفة يتخذ من رحم الأم مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي... كان المهد هو المكان الذي تنفتح فيه مداركه»(1)، وهكذا نستنتج أن المكان له قيمة واسعة جدا بالنسبة للإنسان حيث يعد المنطلق والمسكن ويتعدى أيضا إلى أمور أخرى وتتبلور أبعاده المكانية نسبة للإنسان.

والمكان ظاهرة سيكولوجية وجمالية وأدبية وسيمائية، وتجليه في الأدب يعتمد على الوصف في تشكيل الإضافي للمعنى وتحريك مشهد الحوادث، والوصف كما يذكر قدامة «إنّما هو ذكر الشّيء كما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشّعراء إنّما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثّله للحس بنعته»(2)، وقد ثبت أن أتقن الشعراء صناعة أبرعهم وصفا، والتخييل الشّاعري يظهر بتعدد الصور، وبالتالي باتت رؤية المكان بمدى براعة وصفه، وهذه أيضا يقاس أمرها بمقدار الشعور بقيمة المكان، لذلك يكون خلقه أبدع؛ فانظر قول الغريب أو المبعد عن أرضه، سيكون وصف المكان في شعره أقرب عاطفيا واندماجا وتوافقا حسيا على من يعيش بين ظهرانيه، وكم كان العائشون على أرضه يستشعرون عظمة الوطن من أقوال

---

(1). أحمد طاهر حسين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، دار البيضاء، ط2، 1988، ص05.

(2). قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1979، ص ص 118، 119.

المبعدين والمفارقين، « فالمكان الحقيقي هو الذي يستطيع فيه الإنسان أن يبني ذاته، وإذا ما افتقد ذلك يكون مكانا هشا بلا قيمة»[1].

ويعتبر المكان من الوسائل التي يلجأ إليها كل شاعر في التعبير عن ألامه وأحزانه ومعاناته النفسية لذلك أصبح مقترنا بالغرض الشعري، لهذا دخل المكان بدلالاته الإنتمائية والنفسية بشكل كبير وكثيف وهو يعتبر وسيلة للإفصاح عن مشاعر الخوف والقلق والشوق وغيره من الآلام النفسية، فالمكان يؤدي دورا فاعلا «في الغرض الشعري فضلا عن كونه وسيلة فنية معبرة عن الكثير من المشاعر الداخلية وسواء أكان الغرض مديحا أم رثاء أم هجاء(...) فإن المكان يظل فيه شاهدا حسيا على متغيرات تلك الحياة الإنسانية وما يحتدم من صراعات الواقع»[2]، ونجد أن علاقة الشعر بالمكان واضحة من خلال شعر الحنين والرغبة إلى الأوطان والانتماء إليها والإحساس بالمكان فدوره يؤثر في نفسية الشاعر، «وجاء الاهتمام بالمكان مع بدء النهوض الاجتماعي والفكري للإنسان، ولا أظن هذا الاهتمام جاء عفو الخاطر دون دلالات انتمائية ونفسية ووجدانية وجمالية وشعور بالانتماء إلى الأرض»[3].

والإنسان يبني ذاته من خلال اكتشافه للمكان المناسب، «إن المكان من أهم العناصر التي يوجه إليها الإنسان مشاعره سواء أكانت مشاعر ألفة أم مشاعر معادية فهي تخضع للوضع الفكري والنفس الذي يعاني منه الإنسان(...) والشعراء بوصفهم أكثر الناس حساسية تجاه البيئة المحيطة بهم»[4]، إن مشاعر الإنسان تنصب اتجاه المكان

---

(1). حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2000، ص04.

(2). ينظر: محمد عبيد صالح السيهاني، المكان في الشعر الأندلسي، (من الفتح حتى سقوط الخلافة 92هـ-422هـ)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص ص37-38.

(3). المرجع نفسه، ص37.

(4). محمد عبيد صالح السيهاني، المكان في الشعر الأندلسي، ص105.

الذي ينتمي إليه مهما كانت مشاعره حزينة أو غير ذلك ونجد الشعراء أكثر حساسية في تعبير عن مشاعرهم.

يستعين الشعراء بالمكان لتعبير عن مشاعرهم والأحاسيس المتولدة من المكان، ولهذا أصبح محلا لترجمة المشاعر الصادقة والأحاسيس المفعمة، «والموقف من المكان بالنسبة للشاعر يعطي رؤية كاملة عنه وما يختلج في نفسه من أحاسيس وما يعانيه من مشاعر تجاه ذلك المكان واتخذ من الشعر وعاء يكسب فيه تلك المشاعر والأحاسيس المتولدة من المكان حتى أصبح المكان ترجمة واقعية صادقة لأحاسيس الشعراء»[1].

وهكذا أصبح المكان وإحساس الانتماء هما وقلقاً شعريين، منبثقين من الشعور بعظمته ومهابته، ويزداد الحس بالمكان حينما يتعرض الشاعر للظلم، ويزداد هذا الحس اتقاداً إذا شعر بالغربة فيه وفقد إحساس الانتماء، فيتمدد الانقطاع داخلياً عن هذا الوجود ذاته. فتنشط حركة الخيال لتظهر مستويات متعددة للحلم والذاكرة، ولا يغدو شعور انسحاب الانتماء إلى المكان إلا اختيارا قسريا لموت فكرة الوطن.

من هنا نقف على أن علاقة الشعر بالمكان علاقة تأثير وتأثر بينهما، وتختلف العاطفة والأحاسيس عند الشاعر باختلاف التعبير عن الأماكن التي يحس بالانتماء إليها، ويشعر بأنها ليست «فضاءً فارغا، ولكنه مليء بالكائنات وبالأشياء، والأشياء جزء لا يتجزء من المكان، وتضفي عليه أبعادا خاصة من الدلالات»[2]، فالمكان في القصيدة ليس سلبيا ولا صامتا، ولكنه يحمل من دلالات الحياة ما يجعله صوتا وحركة «يؤثر ويتأثر، في هيكله مشاهدها وإضفاء بعد فني جديد لصورها بحسب ما تقتضيه حالة التعبير والذوق الشعوري»[3].

---

(1).محمد عبيد صالح السيهاني، المكان في الشعر الأندلسي، ص105.

(2). سيزا قاسم، القارئ والنص (العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2002، ص48.

(3). علي متعب حاسم ومنى شفيق توفيق، فاعلية المعادن في صورة الشعرية (سيفيات المتنبي أنموذجا) مجلة ديالي، عدد 40، 2009، ص04.

الفصل الأول

تعداد مظاهر الانتماء في شعر أبي الطيب المتنبي

أولا: مظاهـــر الانتماء في شعر ما قبل الاستقرار

ثانيا: مظاهـــر الانتماء في شعر فترة الاستقرار

ثالثا: مظاهـــر الانتماء في شعر فترة التمرد

تمهيد:

مادام الإبداع صورة مصغرة عن الحياة الطبيعية، فلا يمكن إذن إغفال فاعلية حضور المكان في ذاك المجسم المصغرة بنفس قيمة الحياة الطبيعية للإنسان، فهو الذي يثير في الفرد الإحساس بالانتماء والارتباط بالمكان، كما أن هذا الانتماء حالة إنسانية عامة، يولد لدى الفرد الشعور بالطمأنينة والأمان وكذلك الرغبة في التواصل والاستمرار.

أولا: مظاهر الانتماء في شعر ما قبل الاستقرار:

كان المتنبي رجلا طموحا راغبا في المجد، فراح يبحث في البلاد عن بقعة تحمل آماله العظام، وفي الأمكنة عن مكان يسع طموحه، فقد كانت الأمكنة حينها تضيق عن طموح تلك النفس التي بين جنبيه، فرغم كثرة الأمكنة التي زارها وذهب إليها لم تجد نفسه مكانا يتناسب معها بلدا له، حيث أن المتنبي لم يستقر في مكان واحد، لأنه كان يرى نفسه أكبر وأعظم من الأمكنة التي زارها، فأنظر قوله:

إلـيّ لَعَمـري قَصْـدُ كُـلّ عَجيبَـةٍ كأنّي عَجيبٌ في عُيُونِ العَجائِبِ
بــأيّ بِــلادٍ لــم أجُــرَّ ذُؤابَتــي وأيُّ مَكــانٍ لــم تَطَــأْهُ رَكــائِبِي
كأنّ رَحيلي كانَ منْ كَفّ طاهرٍ فأثْبَتَ كُوري في ظهورِ المَواهِبِ
فَلَـمْ يَبْـقَ خَلْـقٌ لـم يَـرِدْنَ فِنــاءَهُ وهُـنّ لَـهُ شِـرْبٌ وُرُودَ المَشـارِبِ
فَتًـــى عَلّمَتْـــهُ نَفْسُـــهُ وجُـــدودُهُ قِـراعَ العَـوالي وابتِـذالَ الرّغائـبِ
فقَدْ غَيّبَ الشُّهّادَ عن كلّ مَوْطِنٍ ورَدّ إلى أوطانِهِ كلَّ غائِبِ[1]

فقد فتح «عينيه على الدنيا سنة (303هـ)، في حي كندة بالكوفة وهي حي نزله المهاجرين من العرب الذين نزحوا أيام الفتوح إلى هذه البقاع وهم من أصل يماني فسموا

(1). ديوان المتنبي، ص ص90، 91.

منازلهم الجديدة بأسماء منازلهم الأولى للذكرى والحنين»[1]، وفي ذكرى هذا المكان يستذكر شاعرنا هذا الحي في شعره وكان بعيدا ومفارقا له حيث يقول:

أمُنْسِيَّ السّكونَ وحَضرمَوْتاً ووالِدَتي وكِنْدَةَ والسّبِيعَا[2].

هذا أول إحساس حقيقي بالانتماء في حياة المتنبي وهو حي كندة بالكوفة، حيث نلاحظ من خلال هذا البيت الشعري، أن أبا الطيب المتنبي ذكر مواضع سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنون فيها، كذكره حضرموتا وكندة وهي مواضع غربي الكوفة، والسبيعا أيضا سوق بالكوفة، أما بالنسبة لذكر اسم والدته فهذا يدل على مكانتها ومدى شعوره بعلاقتها بهذه الأماكن، التي كانت فيه ذكرى شبابه يذكرها بشغف ويحن لانتمائه إليها بعد مغادرته لها.

كانت شخصية المتنبي تتميز بالكبرياء وعلو الهمة بل لقد بالغ في ذلك حين رأى أنه جزء هام من مكان قد يتشرف الآخرون بالتزامه والشعور بالأمان فيه حين قال مفتخرا:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ[3].

في هذا البيت يتحدث المتنبي عن نخلة، وهي قرية لبني كلب في الشام التي يصف ويشبه إقامته ببلدهم كإقامة عيسى بين اليهود، وأنهم أعداء له مثل ما كان اليهود أعداء لعيسى، كما نلاحظ علو وقيمة شاعرنا في تشبيه نفسه بنبي الله عيسى عليه السلام ومن دواعي هذا البيت لقب بالمتنبي[4]، كذلك نستنتج من خلال هذا البيت أن المتنبي يشعر بالغربة بين هذا القوم، فالغربة حالة شعورية يحس بها كل فرد حين يُعدم القدرة على

---

(1). ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، دط، 1989م، ص226.

(2). الحسينى الحسينى معدي، ديوان المتنبي، دار الخلود للنشر والتوزيع، ، القاهرة، دط، 2012م، ص309.

(3). ديوان المتنبي، ص155.

(4). ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، شرح المتنبي، دار الأصالة، الجزائر، (دط)، 2009، ص ص33، 34.

التأقلم مع الآخرين، وكذلك بالنسبة لانتمائه لذلك فالشعور بالانتماء للمكان يجعل الفرد في راحة وطمأنينة دائمة.

كما نجد أن المتنبي لا يضع اعتبارا لأحد ولا يخاف أبدا، بل الكل دون تصوره في نظره حين كان يبحث عن تحقيق ذاته باحثا عن مكان يجد فيه أهليته لتلقف نفسه الطموحة، حيث يقول:

أَيَّ مَحَلٍّ أَرتَقي   أَيَّ عَظيمٍ أَتَّقي
وَكُلُّ ما قَد خَلَقَ الـ   لاهُ وَما لَم يَخلُقِ
مُحتَقَرٌ في هِمَّتي   كَشَعرَةٍ في مَفرِقي[1]

أخرج كثير من المتابعين لشعر المتنبي وأخباره حينها عن ملة الإسلام، وألصقوا به تهمة الزندقة والكفر، حين عبر عن سمو همته جاعلا نفسه في مصاف الأنبياء، ففي هذه الأبيات يرى بأن لا ولن يكون له ند في زمانه، فما خلقه الله ولم يخلقه لا يساوي شيئا أمامه، أما عبد الرحمن البرقوقي يذهب إلى شرح هذه الأبيات بمعنى آخر؛ إذ يرى «وما لم يخلق: قال الواحدي: ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقا كذات الباري عز وجل وصفاته، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول، وإنما أراد: وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون»[2].

فالأبيات تؤكد أن المتنبي يرى نفسه صاحب الهمة والعبقرية، فقد كان يتساءل في هذه الأبيات عن أي مكان يرتضيه؟ وعن أي ولاية تستوعب آماله العظام، فقد بلغ كل درجات في العلو، وأنه لا يخاف عظيما، لأنه عاش بين أناس وصلت بهم حظوظهم إلى

(1). ديوان المتنبي، ص346.

(2). عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط)، 2012م، ص852.

الاستيلاء على المناصب والتحكم في الناس، فكان « يعتز بفروسيته وشجاعته، ويرى أنه يفوق الشعراء فهو أشعرهم، وهو يمتلك الفروسية والشجاعة»[1].

إن اعتزاز المتنبي بذاته، بلغ مقاما كبيرا، فكان يفتخر بكل الخصال التي تميزه إذ يقول:

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُنـي	وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ
أنا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي	وَأسْمَعَتْ كَلِماتـي مَنْ بـهِ صَمَمُ[2]

نلاحظ في هذه الأبيات أن المتنبي تميز بتكثيف افتخاره بنفسه، فجمع هنا الفخر بالفروسية وبالمحارب البطل وبالشجاعة، وبالعلم كذلك، فكل الصفات والخصال العظيمة قد اجتمعت فيه، وكذلك نلاحظ افتخار المتنبي بشعره عندما قال أن الأعمى أبصر أدبه رغم فساد حاسة بصره، وكذلك الأصم سمع شعره. كما كان يرى أن شعره سار في آفاق البلاد واشتهر وتحقق عند الأعمى والبصير.

وكذلك نجد المتنبي يصور نفسه في المكان يقول:

أنا صَخْرَةُ الوادي إذا ما زُوحمَتْ	وإذا نَطَقْتُ فإنّني الجَوْزاءُ[3]

في هذا البيت نجد أن المتنبي يشبه نفسه بالصخرة وذلك لضخامة مقامها وصلابتها وثباتها، إذ لا يستطيع أحد إزالتها من موضعها، وكلٌ إن أراد بموضوع المكان تدبرا كانت الصخرة أول تفكيره وانشغاله، وكذلك المتنبي يرى نفسه صلبا وثابتا لا يستطيع أحد إزالته أو الاستغناء عنه.

(1). عبد الرحمن أفندي الشهير بحسام زادة، قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء، تح: حمدي الشيخ، المكتب الجامعي الحديث، (دط)، 2007م، ص15.
(2). ديوان المتنبي، ص ص467، 468.
(3). المصدر نفسه، ص22.

ونجده كذلك في موضع آخر يذكر علاقته بالمكان يقول:

بمن تقشعر الأرض خوفا إذا مشى عليها وترتج الجبال الشواهق(1)

فهنا نتحدث عن قوته في قوله أنه تهابه الأرض إذا مشى عليها وتتحرك الجبال خوفا منه، فالمتنبي يصف قوته مجسدها في الأرض والجبال، فهو يرى أنه أكثر وأعظم قوة وصلابة من هذه الأمكنة الطبيعية.

إن خضوع المكان ووقوعه تحت سيطرته إنما يدل على حالة عدم الاستقرار التي عاشها المتنبي، فالمكان منطلق لا محالة ولا يراه محضنها لأنها في نظره اكبر منها وهو بذلك يراها مرحلة لا تدوم، لأن المتنبي كان «كبير النفس بعيد الهمة، ناقما على أولئك الذين حكموا ديار العرب من غير أهلها، ثائرا في نفسه عليهم. وقد أراد أن يحقق هذه الثورة، فاتصل بقبائل عربية، ودعا رجالا منهم إلى بيعته وخرج إلى أرض سلمية من حمص ليعلن ثورته، فلم يكد يعلنها حتى أخذه لؤلؤ الغوري والي الإخشيد على حمص وألقاه في غياهب السجن»(2).

إن أول الأمكنة التي تعرض لها المتنبي، هو مكان عدائي مغلق هو، السجن، حيث تلقى المتنبي الحبس رغم قساوته إلا أنه لم يفقد كبريائه وقيمته وفي هذا القول:

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معتـرف
لو كان سكنـــاي فيك منقصـــة لم يكن الدر ساكن الصــدف(3)

في هذه الأبيات يتبين لنا مدى قوة وشجاعة المتنبي في صبره على قسوة السجن، فقد كان يراه مكانا وحسب فليكن كيف شاء من القسوة والشدة فهو مرحلة سيصبر فيها وحسب، وكذلك يرى بأن دخوله السجن لن يلحق به نقصا، وشبه نفسه في السجن مثل

(1). ديوان المتنبي، ص348.
(2). ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، ص227.
(3). ديوان المتنبي، ص321.

الدر في الصدف، فقد أعطى لنفسه قيمة مثل قيم الدر، فقيمة السجن حينها من قيمة ساكنه مثل قيمة الدر من الصدف.

إن انتماء الشاعر للمكان وحبه له لم يؤثر عليه رغم كل الصعاب التي واجهها حتى وهو في ذلك المكان العدائي المغلق.

إن قوة شخصية المتنبي لم تدعه يحط من شأنه وعظمته، بل كان يعلو من قيمته حتى وهو في مكان مظلم قاس، ولكن بعد أن ذاق مرارة السجن والجوع والغربة وأصبح لا يتحمل ثقل الحديد في رجليه، أخذ يتعطف ويدعو الحاكم إلى العفو والصفح عن ذنبه حيث يقول:

دَعَوتُكَ عِندَ انقِطاعِ الرَجـا ءِ وَالمَوتُ مِنّي كَحَبلِ الوَريدِ
دَعَوتُكَ لَمّا بَراني البَلـــــى وَأَوهَنَ رِجلَيَّ ثِقـلُ الحَديــدِ
وَكُنتُ مِنَ الناسِ في مَحفِلٍ فَها أَنا في مَحفِـلٍ مِن قُرودِ
فَما لَكَ تَقبَلُ زورَ الكَـــلامِ وَقَدرُ الشَهـادَةِ قَدرُ الشُهـودِ(1)

في هذه الأبيات يترجى أبو الطيب المتنبي الحاكم كي يعفو عن خطيئته، بعد انقطاع الرجاء والأمل من غيره وقرب الموت، وكذلك تذكره كيف كان يجتمع مع الناس في مواضع وأماكن تليق به، والآن يرى نفسه يجتمع في مواضع من قرود وهم المحبوسين معه من لصوص وقطاع طرق، وكذلك يلوم الحاكم على تصديقه للذين شهدوا عليه شهادة الزور(2).

بالرغم من العذاب الذي قاساه المتنبي في هذا المكان العدائي، إلا أنه لم يتخل عن كبريائه وأنفته ونفسه العالية، وكذلك نلاحظ أن المتنبي عاش حياة مضطربة، فلا يكاد يستقر في مكان، حتى يثير حول نفسه الخصومات والبغض.

(1). ديوان المتنبي، ص ص164، 165.
(2). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص482.

لقد عاش المتنبي مرحلة ما قبل الاستقرار مطاردا منبوذا، يبحث عن مكان يستطيع احتواء آمال سقاء فقير يريد تغيير موازين القوى الاجتماعية لواقع لا يعترف بأمثاله بحق الحياة، فانطلق من قناعة التغيير من إدراكه لقيمة المكان فأعلن بدأ ثورته بـ" **أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ**"، فوجدنا أن الشاعر يرى في انتماءه للمكان في هذه المرحلة لا يعدو وسطا يهدهد فيه أمنياته، وواقع مرحلي يفرضه على نفسه المتعالية ويمنيها بما يرضيها مستقبلا في مكان آخر، فقد كان شعوره بالانتماء لنفسه أكثر من انتماءه للمكان، فهو يرى مواقفه وشخصيته هي المكان بحد ذاتها.

ثانيا: مظاهر الانتماء في شعر فترة الاستقرار:

عند خروج المتنبي من السجن وإطلاق سراحه، تاب ورجع إلى رشده، فصار يتجول في نواحي الخلافة بين زوايا الشام حتى وصوله حلب حاملا معه همومه وحزنه الذي يعتمر قلبه وعند إلتقائه بسيف الدولة تغيرت نفسية أبي الطيب المتنبي وصار لحياته لون آخر وشعوره براحة، فقد وجد في سيف الدولة تجسيد أحلامه وطموحاته وتقدير عبقريته الشعرية.

قال المتنبي:

فَسِرتُ إلَيكَ في طَلَبِ المَعالي وَسارَ سِوايَ في طَلَبِ المَعاشِ(1)

سار المتنبي إلى سيف الدولة بغيت إرجاع الحكومة إلى العرب فطلبه كان طلب سياسي وليس طلب مادي لهذا كان سعيه إرجاع السلطة إلى العرب بعد رؤية ضعفهم وتراجعهم، ويتبين لنا من هذا البيت انتماء الشاعر لسيف الدولة فهو يرى فيه صورة ذاتية لنفسه، فهو يشترك معه في القوة والطموح الذي يتمتع به المتنبي.

(1). ديوان المتنبي، ص296.

كان لسيف الدولة عدة التحامات عسكرية وحروب وكان المتنبي ملازما له في جشه بشعره ومسايرا له بسيفه خاصة خلال خوضه حروبا ضد الأعاجم بكل قوة جعلته ينشده شعرا جميلا قائلا:

لقد سَلّ سيفَ الدّولَةِ المَجدُ مُعلَماً فلا المَجدُ مخفيه ولا الضّرْبُ ثالمُهْ

على عاتِقِ المَلْكِ الأغَرّ نِجــادُهُ وفي يَدِ جَبّارِ السّماواتِ قائِمُــهْ(1)

وصف المتنبي سيف الدولة بصفة المجد وما يتجلى به من الشجاعة والقوة وقد أخذ في المدح، فقال إن المجد قد أعلم سيف الدولة منبهرا بجلالته، وواثقا بصرامته، فهو بهذا أن الشرف والمعالي الأمور والقوة التي يتجلى بها على مواجهة الأعداء(2).

إن شجاعة سيف الدولة كانت مصدر لجوء المتنبي والانتماء إلى هذا الأمير، الذي يرى فيه نفسه ومنبهرا بعلو همته ومجده، لذلك يراه مثلا لرغبته الجارفة في تحقيق هدفه والوصول إلى الإمارة وتولى حكمها وكانت طريقته لكسبها هي أي مدح سيف الدولة وتفاخره بمجده.

لقد أبدع المتنبي في وصف المعارك فقد مدح سيف الدولة على انتصاره على الروم في موقعه القلعة التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العـزائم وتأتي على قدر الكرام المكـــــارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم(3)

تأتي العزائم إنسان على قدر قوته وهمته وشأنه في العالم ومن يتمتع بالإرادة والعزم الكبير تأتيه العزائم كبيرة وكثيرة كعزمه، وإذا كان الإنسان ضعيف ومخفق في حياته

(1). ديوان المتنبي، ص458.

(2). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1280.

(3). ديوان المتنبي، ص472.

اضمحلت واندثرت عزيمته سكنت وضعفت همته أما بالنسبة إلى المكارم فهي أيضا تأتي بحجم كرم الإنسان وقيمته بين الناس(1).

إن عظيم عزم المتنبي دفعه إلى الافتخار بانتمائه إلى بلاط سيف الدولة وإن حاربوه على ذلك، فكان يعاود فخره بأن يكون قريبا من الأمير مرحبا بضيافة سيد المكان له، معتبرا نفسه حينها قد امتلكت جانبا من الارتياح، الذي يعتبره حقا يحب المحافظة عليه، وخطوة في مساره لتحقيق مطلبه السياسي، فهو يرى في ذاته أنه قادر على الوصول إلى مبتغاه الذي يراه في سيف الدولة والأمر الذي عزم عليه المتنبي كان عظيما قدر همته، قائلا:

بسَـيْفِ الدّوْلَـةِ الوُضّـاءِ تُمْسِـي جُفُوني تحتَ شَمسٍ ما تَغيبُ
فـأغْزُو مَـنْ غَـزَا وبِـهِ اقْتِـداري وَأرْمـي مَـنْ رَمَـى وَبـهِ أُصـيبُ
وَللحُسّـــادِ عُـــذْرٌ أنْ يَشِـــحّوا علـى نَظَـرِي إلَيْـهِ وَأنْ يَـذوبُوا
فإنّي قَدْ وَصَلْتُ إلى مَكَانٍ عَلَيْهِ تحسُدُ الحَدَقَ القُلُوبُ(2)

لقد عاش الشاعر صراع المكان، منذ بدأت حصته من حب الأمير تأخذ صورتها من الاتساع في فؤاده، وهذا ما جر عليه مصائب الحسد والشحناء، لذلك فهو مطالب من إثبات نفسه في تلك الحرب، مع عدم الإساءة إلى المكان، بل كان مطالبا أن يثبت انتماءه المطلق إليه، ولو كان بنقيع الدم كما حدث في صريح قوله:

يَـا مَـنْ يَعِـزّ عَلَيْنَـا أنْ نُفَـارِقَهُمْ وِجـدانُنا كُـلَّ شـيءٍ بَعـدَكمْ عَـدَمُ
مَـا كـانَ أخلَقَنَـا مِـنكُمْ بتَكرِمَـةٍ لَـوْ أنّ أمْـرَكُمُ مِـن أمرِنَـا أمَـمُ
إنْ كـانَ سَـرّكُمُ مـا قـالَ حاسِـدُنَا فَمَـا لجُـرْحٍ إذا أرْضـاكُمُ ألَـمُ

(1). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1231.
(2). ديوان المتنبي، ص50 .

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَـــــةٌ إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ(1)

ومن الأمكنة التي تغنى بها الشاعر خلال عملية تحقيق الذات وصف لبطولات سيف الدولة ومعاركه، وفي إحداها تصويره للمكان بطريقة رائعة والمكان الذي حدثت فيه المعركة، قائلا:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزولـــه فلما دنا منها سقتها الجماجم(2)

الحدث هي مكان أي القلعة التي دكها سيف الدولة في بلاد الروم على رؤوس جيوشهم العظيمة عددا وعدة، ووقعت فيها حرب ودمار وتلطخت بدمائهم وأصبحت حمراء لهذا وصفها الشاعر بلونها(3).

كان المتنبي يحيا حروب سيف الدولة بمشاعره، رغم أنه لم يكن يشاهدها بعينه فقط، فهو يحس بانتمائه للمكان؛ كإحساس الانتشاء بحرق قلعة الحدث التي وقعت فيها الحروب مع الروم، فالمتنبي خاض المعركة معهم بلسانه، وكان ملازما لسيف الدولة في جميع حروبه.

ومن أشعار المتنبي أيضا، نجده يصف مكان المعركة نفسها التي وقعت في جبل الأحيدب خلف قلعة الحدث التي قد وصفها بالحمراء حيث قال:

نثرتهم فوق الأحيدب كله كما نُثِرَتْ فوق العروس الدراهم(4)

---

(1). ديوان المتنبي، ص468.

(2). المصدر نفسه، ص472.

(3). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1312.

(4). ديوان المتنبي، ص474.

ومن خلال هذه الأبيات نستنتج أن الشاعر قد وصف مكان المعركة، ووقوعها في جبل الأحيدب، وتشبيهه للجبل تشبيها رائعا في تناثر جنود الروم فوق الجبل جثثًا، كتناثر دراهم الهدايا حول العروس، وفي هذا البيت نرى أن المتنبي يمدح شجاعة سيف الدولة وتغلبه على جنود الروم، فهو كان ينتمي إلى الحرب ويشاركهم في شعره، فهو يصف الجبل وهو مكان تواجد سيف الدولة، كما يعتبر الجبل رمز من رموز القوة والمكان فهو يرى نفسه كالقمة في ذلك الجبل.

ومن الأوصاف التي وصفها المتنبي وصف مملكته التي بناها بالمجد يقول:

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعــن عنــد محبيهــن
وما تقــر سيـــوف في ممالكهــا حتــى تقلقل دهرا في القلل
على الفـرات أعاصر وفــي حلب توحش لملقى النصر مقتبل(1)

أعلى الممالك رتبة وأرفعها مقاما، وما خلفت الحرب من الطعن والضرب وما أثارته هذه الحروب، وما وصل إليه الملك ومن أراد الممالك والوصول إليها طلب العلى، فقد كان عنده الطعن كالقبل أي أن يتمتع بالطعن كالتلذذ بالقبل(2).

تقلقل سيوف في رؤوس الأعداء أي تتحرك زمانا، ويكسب الملك قيمته عند انتصاره على أعداءه، فالأمير إذا أراد أمرا أو شيئًا في الحياة وكان بعيدا قربه، وذلك عن طريق الرماح وأيدي والخيل والمطايا ويتمكن منه بماله من القوة والعزم.

وفي أرض الشام نجد أن المتنبي يصف سيف الدولة علوه كعلو الخيام:

---

(1).ديوان المتنبي، ص390.

(2). ينظر: عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص980.

لَقَد نَسَبوا الخِيامَ إِلى عَلاءٍ أَبَيتُ قَبولَهُ كُلَّ الإِبــاءِ
وَمـا سَلَّمتُ فَوقَكَ لِلثُرَيّـــا وَلا سَلَّمتُ فَوقَكَ لِلسَماءِ(1)

هنا يصف المتنبي سيف الدولة علوه بعلو الخيام والسماء وأنهى أعلى في المكان ولا في الشرف، كما أنه يقول بأنه لا اسلم بأن الثريا والسماء أعلى منك قيمة وهمة مهما كانت الخيام عالية وتطاولت ما كانت بشرف سيف الدولة ويقول أيضا:

تنفّس والعواصم منك عشر فنعرف طيب ذلك في الهواء(2)

ومن الأوصاف التي أبدع فيها المتنبي وهي جمال الوصف، أن العواصم بلاد قصبتها أنطاكية، لو تنفست والعواصم بعيدة عنك كل البعد ولو كانت عشرة الأميال لعرف سكانها طيب نفسك في الهواء.

ومن الحروب التي خاضها سيف الدولة في حياته وفي تغلبه على جيش الروم مع قائدهم حيث يصفها:

فيَوْماً بخَيْلٍ تَطْرُدُ الــرّومَ عنهُمُ وَيَوْماً بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ وَالجَدْبَا
سَراياكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هــارِبٌ وَأصْحابُهُ قَتْلَــى وَأمْوالُهُ نُهْبَــى
أتَى مَرْعَشاً يَستَقرِبُ البُعدَ مُقبِلاً وَأدبَــرَ إذ أقبَلْتَ يَستَبعِدُ القُرْبَـا(3)

وصف المتنبي انتصار فرسان قائد بني حمدان سيد دمستق وبطلها المغوار؛ سيف الدولة وجيشه القوى الذي لا يعرف هزيمة أبدا، وكانت تلك الحرب في مدينة مرعش التي بناها سيف الدولة، وكان فيها مصير جيش الروم ومن خلال هذا نجد المتنبي يتفنن في وصفه للمعركة بجماليات عالية يجعل المكان يستفيض بشعر المتنبي، كما استفاض

(1). ديوان المتنبي، ص36.
(2). المصدر نفسه، ص36.
(3). المصدر نفسه، ص45.

سيف الدولة بالكثير من الانتصارات أمام أعدائه وقد كان جيش دمستق يسقط متواترا ومتتابعا.

وفي مكان آخر نجد نهر"جيجان" وإلى مدينة "آمد" التي تغنى بها المتنبي في شعره يقول:

سَرَيتَ إِلى جَيحانَ مِن أَرضِ آمِدٍ ثَلاثاً لَقَد أَدناكَ رَكضٌ وَأَبعَــدا
فَوَلّــى وَأعطـــاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَـهُ جَميعاً وَلم يُعطِ الجَميعَ ليُحْمَدَا
عَرَضْتَ لَــهُ دونَ الحَياةِ وَطَرْفِهِ وَأبصَرَ سَيفَ اللهِ منكَ مُجَـرَّدَا(1)

سار سيف الدولة إلى جيجان وهي نهر ببلاد الروم في ارض آمد وهي مسافة بعيدة جدا لا تقطع في أيام قليلة وهذه المسافة لا يقطعها أحد، أما سيف الدولة قطعها ووصل إليها في ثلاث ليالي رغم بعدها، وهذا دليل على عزيمة سيف الدولة والشجاعة والقوة التي يتمتع بها، وقد انهزم دمستق وفر هاربا وترك جيوشه وابنه أسرى، وذلك كان رغما عنه لم يسلمهم لك لتخمد، إنما تركهم قهرا وعجزا منه(2)، وكان دمستق قيد عين سيف الدولة للانتقام منه لبطشه ولم يرى سواه وأيقن هلاكه، وهكذا كان مصير قائد الروم على أيدي سيف الدولة وكان مصيره الموت.

لقد شغل المكان أبا الطيب المتنبي حيثما تنقل بين الأمكنة وخاصة مع الأمكنة الجديدة التي صادفها في حياته وحبه للأمكنة، خاصة الأمكنة التي انبثق فيه حب الأشخاص الذين أعطوا أهمية كبيرة للمتنبي وأكرموه وقدروا قيمته الشعرية. وهكذا تكون حلب هي موقع الجمال إذ تواجد فيها سيف الدولة ويرى أن كل ما يفعله جميلا ومحبوبا وكل مكان يكون فيه جميلا أيضا فسيف الدولة يتواجد في قلب المتنبي ولم يخرج من قلبه، فهو يصفه ويصف بعض معاركه والأماكن التي مر بها.

---

(1). ديوان المتنبي، ص146.

(2). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص ص426، 427.

وقد يتوقف المتنبي وسط ضوضاء الحرب وغبرائها وما تحمله من هول وهلع، منتبها إلى ما تحمله نفس الأمير من صورة الحب والحسن والكمال الإنساني، فيستأنس به مكانا داخل ذلك الدمار، ويلجأ إليه متحببا لا طامعا حينها في دينار أو درهم، إنما يريد أن يستظل في بستان سيف الدولة، يقول:

زالَ النّهـارُ ونـورٌ مِنْـكَ يُوهِمُنـا   أنْ لم يزُل ولجِنْحِ اللّيلِ إجْنَانُ
فإنْ يكُنْ طَلَبُ البُسْتانِ يُمسِكُنا   فَرُحْ فكُلُّ مَكانٍ مِنْكَ بُسْتانُ(1)

يتميز سيف الدولة بقوة ذكائه وانتقامه أمام العدو، وانتصاراته القوية التي تتميز بسرعة قوية، وتشبيه المتنبي الخيول بالسهام لقوتها، فيمتلئ المكان بصوت الخيل والضجيج الكبير وقرعات السيوف التي دوت المكان، حتى امتلئ بأصوات مرعبة يسودها الخوف، وكان المتنبي يراقب الأمير وهو يعدو بشجاعته، وينقل لنا صورة مجسمة من وقائع المعركة وهو يقضي على أعدائه بروح قوية، يقول المتنبي:

وَما قَبلَ سَيفِ الدّوْلَـةِ كثّـارَ عاشِقٌ   ولا طُلِبَتْ عندَ الظّلامِ ذُحُولُ
وَلَكِنّـــهُ يَأتـــي بكُـــلّ غَريبَـــةٍ   تَرُوقُ عَلى استِغْرابِها وَتَهُولُ
رَمَى الدّرْبَ بالجُرْدِ الجيادِ إلى العِدى   وَما عَلِمُوا أنّ السّهامَ خُيُـولُ(2)

ومن الأمكنة أيضا التي تطرق إليها المتنبي، خلال مرحلة استقراره في كنف سيف الدولة وصفه لنهر الفرات دلوك، وهو موضع وصنجة أيضا نهرا وغيرها قائلا:

فَلَمّـا تَجَلّـى مِن دَلـوكٍ وَصَنجَةٍ   عَلَت كُـلَّ طَودٍ رايَةٌ وَرَعيـلُ
عَلى طُرُقٍ فيها عَلى الطُرقِ رِفعَةٌ   وَفي ذِكرِها عِندَ الأَنيسِ خُمولُ

---

(1). ديوان المتنبي، ص587.

(2). المصدر نفسه، ص413.

فَما شَعَـــروا حَتّــى رَأَوهــا مُغيرَةً قِباحًـــا وَأَمّا خَلقُهــا فَجَميــلُ[1]

وصل سيف الدولة مع فرسانه إلى موضع دلوك بجوار نهر يسمى صنجة بين الديار؛ أي في جبال عظيمة جدا. وقد وصلها هو وخيله وعند وصولهم تفرقت فرسانه وغمرت الجبال كلها، وقد سارت الخيل على مرتفعات الجبال للوصول إلى الروم، ولم يحس بها حتى جاءت إليهم تعدو، فهي تعد قبيحة ولكنها جميلة الخلق فصورها الخالق عز وجل في أحسن صورة.

إن عزيمة سيف الدولة على القتال وشاعرية المتنبي، تغير ما هو ساكن إلى أشياء حية تنبض بالحياة، فالشعر الذي يتمتع به المتنبي يونس المكان حتى لو كان شيء خاليا أو حجرا أو جبلان فهو يقاوم الأعداء مهما كانت قوتهم أثناء الحرب بين الروم وسيف الدولة، فالمكان يعتبر شخصية بالنسبة للمتنبي فهو يجسده ليرى ويشارك في الحرب.

يقول شاعرنا في معركة وقعت في بلد اللقان بين سيف الدولة والطغاة وهم الرومان:

فَقَد بــــرَدَتْ فَــوقَ اللُقــانِ دِمــاؤُهُمْ وَنَحنُ أُنــاسٌ نُتبِعُ البــارِدَ السُخنــا
وَإِن كُنتَ سَيفَ الدَولَةِ العَضبَ فيهِمُ فَدَعنا نَكُن قَبلَ الضِرابِ القَنا اللُدنا
فَنَحنُ الأُلــى لا نَأتَلــي لَكَ نُصــرَةً وَأَنتَ الَّــذي لَــو أَنَّــهُ وَحدَهُ أَغنى[2]

تعتبر اللقان مكان في بلاد الروم وكانت موقع سفك الدماء، بين سيف الدولة وجيشه والروم[3]، وكان سفك الدماء بين الجيوش ساخنا وكانت إدارة جيوش سيف الدولة كرماح وكلهم قوة وعزيمة لخوض الحرب والنيل من أعدائهم فسيف الدولة لا يعرف الهزيمة مهما كان عدوه قويا ويتمتع بكثرة جيوشه فسيف الدولة قادرا على مواجهته، فهو لا يقصر على نيل منهم فهو يستطيع أن يقاتل بنفسه دون جيوشه في قتال الأعداء. كان المتنبي كثير

---

(1). المصدر نفسه، ص414.

(2).ديوان المتنبي، ص560.

(3). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1502.

السفر من مكان إلى آخر، وكثير الطموح والطلب بين الحكام والملوك وهذا ما جعله يقع في الاغتراب وعدم الشعور بالانتماء فقد تشكلت حبه لذات منذ طفولته فهو إذا أنشر شعرا افتخر بنفسه، إن المتنبي أحسن بالانتماء في بلاط سيف الدولة وعاش معه كل الحروب فهو ملازمه ومن أبرز المحطات التي عاشها في حياته، فقد أسره هذا الرجل وأعجب به وكانت علاقته مبنية على الشفافية فقد كان يذكر نفسه دائما ويفتخر بها، ولكن في الأخير لم يحظى بمطلبه عند سيف الدولة.

ينتصر الشاعر إلى جمال المكان يحب التمتع بفضائه ودلائل جمال فنائه، فقد زار شعب بوان بفارس فخالج نفسه انبهار بسعة الجمال الذي احتوته الطبيعة فيها فقال، واصفا:

وَمَنْ بالشّعْبِ أحْوَجُ مِنْ حَمامٍ ... إذا غَنّى وَنَاحَ إلى البَيَانِ

وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفانِ جِدّاً ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدانِ

يَقُولُ بشِعْبِ بَوّانٍ حِصَاني: ... أعَنْ هَذا يُسَارُ إلى الطّعَانِ

أبُوكُمْ آدَمٌ سَنّ المَعَاصِي ... وَعَلّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الجِنَانِ

فَقُلتُ: إذا رَأيْتُ أبَا شُجاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ العِبادِ وَذا المَكانِ

فَإنّ النّاسَ وَالدّنْيَا طَرِيقٌ ... إلى مَنْ مَا لَهُ في النّاسِ ثَانِ(1)

ثَانِ(1)

لقد عاش المتنبي في كنف سيف الدولة حوالي ثماني سنوات، كان قد طيع لسانه الشعري فيها على التعبير عن الجمال، وعود خلده على التقاطه في أي صورة ما يمكنه أن يلمحها، ولو كانت أبدع ما خلق الله، وهو في هذه الأبيات بعد تصويره لبديع صنع الخالق في صورة حوار الظاهر مع الحصان، يجيب إجابة من يدرك حقيقة الجمال وتجسدها، ذاكرا أن حسه سَلَى عَنِ جمال العِبادِ والمَكانِ، وتعلق بمَنْ مَا لَهُ في النّاسِ ثَانِ

(1). ديوان المتنبي، ص ص600، 601.

وهو أميره أبو شجاع سيف الدولة، فهذا أوثق ما يمكن أن يؤكد قوة الشعور بالانتماء للمكان.

ورغم نجاح الحساد في بتر العلاقة وانفصال الروح عن الجسد، وتحول وجهة العين دون الفؤاد إلى رحلة البحث عن مكان آخر، بقي الولاء للذكرى تخامر ذاك الجسد وتطبطب على بابه شوقا ورغبة رغم البعاد وراح الفؤاد يدق في عالم الذكرى يستل منها شعورا بالمكان قبل أهله، يقول:

أَحَـقُّ دارٍ بـأَنْ تُـدْعَى مُبَارَكَـةً دارٌ مُبارَكَـةُ المَلْـكِ الـذي فِيهَـا
وَأجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسْقَى بسَاكِنِها دارٌ غَدا النّاسُ يَستَسقُونَ أهليهَا
هَـذِه مَنازِلُـكَ الأُخْـرَى نُهَنّئُهَـا فَمَنْ يَمُرّ علـى الأولـى يُسَلّيهَا
إذا حَلَلْـتَ مَكانـاً بَعـدَ صـاحِبِهِ جَعَلْتَ فيـهِ علـى مـا قَبْلَـهُ تِيهَـا
لا يُنكَرُ الحِسُّ مِنْ دارٍ تكونُ بها فـإنّ رِيحَـكَ رُوحٌ فـي مَغانِيهَـا
أتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ أعطاكَ أوّلَهُ وَلا اسْتَرَدّ حَيَاةً مِنكَ مُعطيهَا(1)

ثالثا: مظاهر الانتماء للمكان في شعر فترة التمرد:

لقد أدركنا صورة الانتماء المكاني للمتنبي في كنف سيف الدولة، خاصة من عاب عليه خفايا علاقته بالأمير، واتهمه فيها بتهم الظاهر المادي متغافلا عن أخلاقيات الانتماء والباطن، وبها عاش بقايا مرحلة الاستقرار وبداية مرحلة التمرد والتشتت، يقول للذكرى:

حَوْلي بكُلّ مكـانٍ مِـنهُمُ خِلَـقٌ تُخطي إذا جِئتَ في استِفهامِها بمَنِ

(1). ديوان المتنبي، ص608.

لا أقْتَـري بَلَـداً إلاّ علـى غَـرَرٍ ولا أمُـرّ بخَلْـقٍ غيـرِ مُضْـطَغِنِ
ولا أُعاشِـرُ مـن أملاكِهِـمْ مَلِكـاً إلاّ أحَـقَّ بضَـرْبِ الـرّأسِ مـن وَثَـنِ
إنّـي لأعْـذِرُهُمْ مِمّـا أُعَـنّفُهُمْ حتـى أُعَنّـفُ نَفْسِـي فـيهِمِ وأنـي
فَقْرُ الجَهُولِ بِلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ فَقْرُ الحِمارِ بلا رَأسٍ إلى رَسَنِ[1]

فكل الملوك بعد أبي شجاع لا يمكنها أن تحل محله في قلبه وان حاولوا لذلك، «فقد فارق أبو الطيب حلبا إلى مدن الشام ومصر وكأنه يضع خطة لفراقها ويعقد مجلسا يقابل سيف الدولة. من هنا كانت فكرة الولاية أملا في رأسه ظل يقوى، دفع به للتوجه إلى مصر»[2]، حيث كافور الإخشيدي، الذي ابتدره بمديح يمَسّك الفؤاد ان ينهار منها قوله:

فإنْ لم يكُنْ إلاّ أبُو المِسكِ أوْ هُمُ فإنّـكَ أحلـى فـي فُؤادي وَأعْـذَبُ
وكلٌّ امرِىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيّبُ[3]

لم يكن ذلك الإحساس الا إشارة ما علق في قلب الذكرى، ونطق به لسان الحاضر طمعا في إمارة يتولاها، وعلى الرغم من أن المتنبي كان كارها للأعاجم، وكافور رجل أعجمي، إلا أنه مدحه طمعا في الحكم وقيل أن المتنبي كان مدحه مبطنا بالهجاء.

ونجده يمدح كافور الإخشيدي في آخر بلسان القول والحاجة لا شعورا بالانتماء بقوله:

وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَزَرْتُـــهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنـا فَبِتْنَ خِفَافًـــا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيـــا
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَـدْرَ الْبُـزَاةِ حَوَافِيَـا

(1). ديوان المتنبي، ص579.
(2). المصدر نفسه، ص08.
(3). المصدر نفسه، ص100.

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْـــرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ استَقَلَّ السَّوَاقِيَا(1)

ذكر المتنبي في هذه القصيدة اسم مدينة مصر قديما وهي الفسطاط، وأن بالفسطاط بحرا، وهو كافور الإخشيدي الذي زاره في حياته، وذلك لقضاء باقي أيامه عند هذا الحاكم وأنه ذهب إليه وحمل معه كل نصحه وحبه ومودته وشعره. وكذلك يتحدث عن الخيل وذلك مما فيها من شواهد الكرم، والرماح الخفاف التي نصبت بين آذانها وأن الخيل تتبعها في السير، ووصفه لقوة الخيل وهي تمشي وقد سقطت نعالها من السفر، وأن الطريق كله حصى، ويصف حوافرها التي تتميز بالشدة والصلابة، حتى أثرت في الصخور بحوافرها بلا نعال.

ونجده يقول أيضا أنه قصد كافور الاخشيدي وترك غيره من الملوك ويقصد سيف الدولة وشبه كافور بالبحر وغيره كالساقية(2).

في هذه القصيدة يمدح أبو الطيب كافور الإخشيدي وذلك بوصفه بالبحر والخيل في قوته وصلابته وكذلك لحبه مصر، فأخذ المتنبي المدح للحاكم لتحقيق مراده، فهنا نلاحظ رغبة في تعظيم المكان لا لحاكمه.

نجده أيضا يمدح كافور في شعره مدحا رائعا وذلك بذكر خصاله الحميدة.

حيث يقول:

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخَصُّ الْغَوَادِيَا(3)

نستخلص من هذه الأبيات التي كتبها المتنبي في أسطره أنه كان يمدح الأمير وهو كافور الإخشيدي بطيب الرائحة التي تنبعث منه وقد شبهها بالمسك، كما ذكر أيضا أنه

---

(1). المصدر نفسه، ص ص618، 619.

(2). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص ص1611، 1612.

(3). ديوان المتنبي، ص619.

طيب الخلق كما مدحه في خصاله التي يتجلى بها الأمير وأنه كريم فهو يطلق عليه اسم المكارم، كما تتغنى بصفاته الحميدة مما يذكر مواقفه التي كان يقف فيها مع الناس وذلك بطيبة الخاطر فهو يتمتع بخصال لا توجد في أحد وبشجاعة كبيرة وعظيمة، وهذا بفعل العوامل المختلفة والبيئة التي تركت بصمة في شخصيته وكانت واضحة، يقول المتنبي:

تَفضَحُ الشَمسَ كُلَّما ذَرَّتِ الشَمـ سُ بِشَمسٍ مُنيرَةٍ سَــوداءِ
إِنَّ في ثَوبِكَ الَّذي المَجــدُ فيهِ لَضِياءً يُزري بِكُلِّ ضِياءِ[1]

شبه كافور الإخشيدي بنور الشمس ويفوق نورها، كما تحدث أيضا المتنبي عن الضياء التي تخلفه الشمس وهو يرى أن ضياء الإخشيدي ساطع يملئ الكون وأن شهرته تفوق شهره الشمس، كما أراد أن يضئ المجد بنوره فقد صور الشاعر كافور أحسن تصوير وذلك بأن مقامه مقام الشمس.

والحقيقة هي أن المتنبي كان يمدح كافورا طمعا في الحكم، إلا أنه خائن في تضييق نفس الشاعر، إلى عدم الشعور بالرضا عن نفسه ولا عن ممدوحه قائلا:

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنى عن نفسي ولا عنك راضيا

فهنا المتنبي ليس راضيا عن نفسه ولا عن كافور حينما قصده ومشى[2].

وقيل أن سبب مماطلة كافور، في إعطاء الولاية إلى المتنبي هو عند سماعه هذا البيت:

إِذا لَم تَنُط بي ضَيعَةً أَو وِلايَةً فَجودُكَ يَكسوني وَشُغلُكَ يَسلُبُ[3]

من خلال هذا البيت الشعري يتبين أن المتنبي كان راغبا في تولي الحكم على أحد

(1). ديوان المتنبي، ص29.

(2). المصدر نفسه، ص622.

(3). المصدر نفسه، ص100.

المناطق، لكن اعتزازه بنفسه وإعجابه بها أمام ممدوحيه، جعل كافور الإخشيدي يتراجع في تحقيق حلمه ومبتغاه.

إن الشاعر في هذا السياق يبعث برسالة مفادها المصلحة الخاصة، إذ لم يندفع بعواطفه للشخص أو المكان، لإدراكه أنه غير مقيم به، معترفا أن الحب لا يوزع حسب الطلب، وان الانتماء للمكان لا يمكن فرضه، فحبه قد ناله مكان واحد لا يمكن أن يزاحمه فيه غيره، فحياة أبي الطيب المتنبي تأزمت واضطربت، فانعكست على شعره الذي عاش الصدمة، بنفوره من أي مكان بعد إمارة سيف الدولة بما تحمله من ذكريات وأحبة، وبات ما دونها يمثل الخيانة والغش والفساد، لذلك لم يحسن للشاعر شعور بالانتماء لأي أرض، بل يمكن اعتبار ما كان من محاولاته إظهار ذلك يمكن اعتباره شعورا خاصا منه بالخيانة، لذلك كان انتقامه من كافور شديدا وقاسيا، معتبرا ظنه بأن التجربة يمكن أن تعوض ما راح من قبيل الخيانة التي تستوجب العقاب، فكان سيل الهجاء وشدة العدوانية كقوله:

أمَــا فــي هَــذِهِ الــدّنْيَا مَكَــانٌ يُسَــرّ بأهْلِــهِ الجــارُ المُقيــمُ
تَشَـــابَهَتِ البَهَـــائِمُ وَالعِبِـــدّى عَلَيْنَـــا وَالمَـــوَالي وَالصّـــميمُ
كَـــأنّ الأسْـــوَدَ اللابـــيّ فـــيهِمْ غُــرَابٌ حَوْلَــهُ رَخَــمٌ وَبُــومُ
أخَذْتُ بمَدْحِهِ فَرَأيْتُ لَهْواً مَقَالي لِلأُحَيْمِقِ يا حَليمُ(1)

هكذا أصبح المتنبي يتخبط في الحسرة والندم، بقدومه مصر، وتحول مديحه لكافور الإخشيدي إلى هجاء، ومغيرا في كل الصفات التي مدحه بها إلى أضدادها، حيث يقول:

وَمـــا أَدري اذا داءٌ حَـــــديثٌ أَصابَ الناسَ أَم داءٌ قَديمُ
حَصَلتُ بِأَرضِ مِصرَ عَلى عَبيدٍ كَـــأَنَّ الحُـــرَّ بَينَهُمُ يَتيمُ(2)
يَتيمُ(2)

(1). ديوان المتنبي، ص550 .

(2). المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

في هذه الأبيات يتساءل المتنبي ما هذا الذي أصاب الناس من تملك العبد، هل هو داء حديث أم قديم عرضه الزمان له، ويرى أنه أقام بأرض مصر عند عبيد أي كافور الإخشيدي وأن الحر بينهم يتيم أي ضعيف لا يدفع الضر عن نفسه، فهنا المتنبي يهجو كافور مصر ويصف معاملته مع الناس بالقسوة والضر.

وقال يهجوه أيضا:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد[1]

نجد المتنبي يهجو كافور على أن أشراف مصر غفلوا على عبيدها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع، فأخذوا ونهبوا بكل أموالهم، وكلما أخذوا إلا وأردوا المزيد وأنه يرى أن العبد لا يلازم الحر لما بينهم من تباعد وأن كافور مهما أظهرته من حب وود إلا أمنيته غير صافية ويرى أيضا أن العبيد أنجاس قليلي الخير وأنهم لا يصلحون إلا على الضرب[2].

وحين أدرك المتنبي بعد مدة، أن مصر أصبحت سجنا لا يستطيع العيش فيه، وأنه مقيد من طرف كافور، وقد وصف وحدته في مصر قائلا[3]:

أَقَمتُ بِأَرضِ مِصرَ فَلا وَرائي تَخُبُّ بِيَ المَطِيُّ وَلا أَمامي

وَمَلَّنِيَ الفِراشُ وَكانَ جَنبي يَمَلُّ لِقاءَهُ في كُلِّ عامِ

قَليلٌ عائِدي سَقِمٌ فُؤادي كَثيرٌ حاسِدي صَعبٌ مَرامي

---

(1). ديوان المتنبي، ص205 .

(2). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص543.

(3). ديوان المتنبي، ص546.

هنا في هذه الأبيات يقول المتنبي أنه أقام بأرض مصر وأن الإبل لا تسير به لا للخلف ولا للأمام، فهو ملزم بالبقاء في مصر، كما يصف مرضه وطول فراشه وأنه يمل الفراش لأنه كان دائما على سفر، ويرى نفسه غريبا لا يزوره إلا قليل من الناس، كما أنه كثرت أحزانه وحاسديه وأن مطلبه صعب فهو يطلب الملك أي كافور الإخشيدي(1).

ويوما بعد يوم تتأصل الغربة في نفسية المتنبي. فيقرر مغادرة مصر، بعدما رأى انقطاع أحلامه وآماله التي سعى من أجلها، والتي لم يمنحه إياها كافور الإخشيدي. بل جعله تحت أوامر وقوانين أهمها منعه من السفر خارج مصر خوفا منه أن يهجوه، وهذه القوانين لم يتعود عليها أبي الطيب المتنبي، لأنه كان كثير السفر من مكان إلى مكان، فيقيم فيها متى شاء، ويغادرها متى شاء، ولا أحد يعترض طريقه.

وهنا نجد أبي الطيب المتنبي، عند ذهابه إلى الكوفة يصف منازل طريقه ويهجو كافور الإخشيدي قائلا:

لِتَعْلَمَ مصرُ وَمَنْ بالعراقَ ومَنْ بالعواصم أنّي الفَتى

وأنّـي وَفَيْتُ وأنــي أبيْتُ وأنّي عتوْتُ على من عتا(2)

هنا المتنبي يخاطب أهل مصر والعراق وعواصمها، أنه الفتى الوفي لسيف الدولة إذ رجع إليه وأبى كافور الإخشيدي، وأنه لم يذل من عصاه وتجبر على من تجبر عليه، «فأرسل المتنبي بعد ذلك، اعتراضاته عن مصر، وعلى الزمان كله من خلال كافور وحاشيته، مما يثبت تمسك الشاعر بناصية حياته، كونه شاعرا يجد في علاقة المديح طريق إلى المجد، بدلا من الذل والهوان. وآية ذلك ما قاله في وصف رحلته الطويلة، وهو

(1). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1466.

(2). ديوان المتنبي، ص33.

يضطرب في أماكن الطريق الشاقة التي سلكها من الفسطاط إلى كوفة هاربا من مصر إلى العراق ليسترد حريته»(1).

وفي الأخير يشعر المتنبي بأن كل الأمكنة لا تسعه ولا تليق بمقامه وشخصيته، ويرى أن أسمى وأكبر من هذه الأمكنة التي زارها، ويذهب إلى مكان آخر ثابت ومتنقل يطير به إلى خيالات سحرية وآمال جديدة أجمل من الواقع الذي كان يعيش فيه، حيث يقول:

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ(2)

في هذا البيت نجده يختصر الأمكنة كلها في حياة المتنبي، بعد أن لم يجد مكان يستقبله ويحقق أحلامه وآماله وأن أمله الأخير هو اعتلاء سرج حصانه والانطلاق وعندما تتعب أقدام الحصان وتتعب نفس الشاعر من الدوران حول العالم عندها يرتاح المتنبي لا يجالس أحدا بل يجالس الكتاب لأنه لا يؤذي بل يفاد من آدابه(3).

وهكذا انهزم الشاعر أمام كافور، ولم يحقق ما سعى إليه، وأضاف مرة ثانية خيبة أمل إلى حياته بعد سيف الدولة، وأخذ قرار الرحيل من مصر وعودته إلى بغداد، فكان موته قبل أن يحقق الاستقرار مرة أخرى.

---

(1). حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010م، ص188.

(2). ديوان المتنبي، ص104.

(3). ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص316.

الفصل الثاني

أولا: الآليات اللغوية

1- اللغة الشعرية

2- التكرار

3- التضمين

4- المحسنات البديعية

ثانيا: الآليات الفنية

1- الصور الشعرية

أ. الصورة التشبيهية

ب. الصورة الاستعارية

ج. الصورة الكنائية

2- الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي

أولا: الآليات اللغوية

1-اللغة الشعرية:

إن امتلكت اللغة امتلكت نصف الإبداع، لذلك كان شعرية اللغة غاية الشعراء وهاجس النقاد حتى تحولت قضية شغلت الدارسين، بل وأصبحت ميدانا واسعا لابتكارات الشعراء، هكذا حظيت في عق شاعرنا أبي الطيب المتنبي بواسع اهتمام مكنه شعوره بامتلاكها، فمنذ اعترافه المباشر بأنه صاحب القدرة في إبصار المكفوفين وإسماع من به صمم، أو حتى قبل ذلك واللغة في تغير دائم وهذه الدراسة تتناول جمالياتها من شعراء القدامى والمحدثين محاولين الوصول للمكون الجمالي في أعمالهم، ومن الشعراء الذين بدأت حياتهم الفنية في الإطلاع على كتب اللغة والنحو هو المتنبي فكان عالم بأسرار اللغة وغريبها ولهجاتها «فقد أضفت لغة المتنبي القوية على أشعاره صورا حماسية رائعة والصرخات الأليمة التي تصدر من نفسية شاعرنا التي تتدفق وتتشكل في بناء قصائده»(1).

والقارئ للغة المتنبي الشعرية يلقى في نفسه ضلال حديقة وارفة غناء منظرها، ريان مدلولها ترفع شعورك بانسيابية المفردة وحدها وتألقها، تجيء فيها جملتها مشحونة بالطاقات الانفعالية الحادة والمؤثرة، مصحوبة بالرموز التعبيرية الهائلة التي يرميها في وجه من كان قدره جليلا أو حقيرا، بكل ما يملكه من عزة وعنفوان تزيد من تألق الصورة في ذهن المتلقي.

فالمتنبي وعى عالمه جمالياً وأدرك أنه يستطيع أن يترجم هذا الوعي تعبيراً جمالياً، وبهذا كان الشعر بنية لغوية معرفية جمالية، تسمح بالتعريف عن إمكانيات شاعرنا الجمالية مكنته من ربط الرؤيا باللغة، ومن خلال هذا نستنتج أن للغة دورا كبيرا في بناء قصائده وتشكلها فهي تضفي حماسة لشعره إذ يقول في قصيدة يمدح فيها سيف الدولة:

---

(1). ناصف اليازجي، شرح ديوان المتنبي، مج2، دار صادر، بيروت، دط، ص ص184، 185.

وَمَا أنَا إلاّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَـــهُ *** فزَيّنَ مَعْرُوضــاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا

أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعراً فإنّمَا *** بشِعري أتَاكَ المادِحونَ مُرَدَّدَا(1)

الشعر في أساس وجودها ظاهرة لغوية لذلك لا سبيل لمتعاطيها إلا بالتأتي إليها من جهة اللغة، وتقوم ماهية الشعر في تأملنا لهذا النص الشعري، يلفتنا الشكل الخارجي للغة التي تحمل جملة من الوظائف والدلالات التي تحملها فالمفردات والتراكيب بينتها وأضفت لها بعد جمالي وهذا البيت يدل على طموحه مثل "سمهري، مسددا..." فهي كلمات كلها قوة فهي تدل على نفسية المتأججة بنار الثورة المتطلعة إلى معالي فهو يتواجد مكانه عند سيف الدولة وشعوره بالانتماء الذي فقده في سجن، فهو يشعر بقوته لاسترجاعه قوة العرب عن طريق سيف الدولة ونستنتج من هذا أن للغة دور كبير فقد ساهمت في تعبير عن نفسيته وطموحه فهو يسعى لذلك.

جعل المتنبي كلمة ثورة لا تهدأ إذ هي ثورة غاضبة وعاصفة وهي تفجير من الألم وتبعث من اليأس رجاءً يقول:

أُريدُ مِن زَمَني ذا أَن يُبَلِّغَنـي مــا لَيسَ يَبلُغُهُ مِن نَفسِـهِ الـزَمَنُ

ما كُلُّ ما يَتَمَنّى المَرءُ يُدرِكُهُ تَجري الرِياحُ بِما لا تَشتَهي السُفُنُ(2)

فمستوى الإيحاءات والدلالات في هذه الأبيات تبدو الكلمات مشحونة ومرصوفة بإحكام بحيث أنَّ كل وحدة منها وضعت بعناية لتفتح أمام المتلقي نوافذ جانبية أرادها شاعرنا أن تأخذه إلى عالم حالم بحكمة باتت مطلب تعليل المخفقين في تحقيق أهدافهم بالدليل، فهو لم يتوان لحظة على استخدام الكلمة المعبرة ناشدا الوصول إلى مبتغاه فهو يكثر من

---

(1). ديوان المتنبي، ص148.

(2). المصدر نفسه، ص ص589، 590.

الكلمات المدوية التي تحمل دلالات كبيرة وبهذا الانجاز الشعري ربح المتنبي معركته من الزمن الذي كان في شعره يبارز الزمن.

يرى المتنبي أن الزمن هو المكان الذي يريد أن يبلغه بمصير حياته التي يسعى للوصول إليها فكلمة الزمن استخدمها لتعبير عن ما يريده فقد ساهمت لغة في إبراز سعيه.

إن الانتماء الذي ينتمي إليه شاعرنا غير راضي عليه، فهو يتمنى أشياء ولكن لا يستطيع الوصول إليها.

2- التكرار:

يقول أحْمد بن فارس من «سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»(1)، لذلك يعد من أقدم عناصر التعبير الأسلوبي فهو «من الفنون البلاغية التي ازدهرت دراستها في ظل الدراسات القرآنية، وقد ذكره الطاعنون في كتاب الله، فكان لزاما على من تصدى للرد أن يدرس هذا الأسلوب، وأن يبين أسراره وأن يشير إلى نظيره في كلام العرب، وقد فعلوا ذلك»(2)، تنبه إليه علماء اللغة واكتشفوا بلاغته، فعددوا في مصنفاتهم محاسنه ومعايب توظيفه واجمعوا على أن توظيفه خاضع لدوافع نفسية بحتة، فهو بذلك «ظاهرة أسلوبية مرتبطة بالذات، وما توظيفها إلا إسقاط نفسي للحالة الشعورية التي تملكت الإحساس وصبغت الكلام في لحظة الإبداع الفني، وقيمة التكرار – كما أقر البلاغيون – لا تكمن في ظاهر إعادة اللفظ لتشكيل بنية فنية خارجية ملفتة للانتباه، بل أن قيمته فيما تخلفه هذه البنية الشكلية من أثر انفعالي، ولفظ التكرار يحمل حتما في

(1). أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1993، ص213.

(2). محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص123.

ثناياه هذه الدلالة الانفعالية الخاصة فهو بذلك كما سبق الذكر وسيلة أسلوبية جمالية إيحائية نفسية»(1).

لقد شغل التكرار الكثير من الشعراء والنقاد ولفت نظرهم وخاصة في شعر المتنبي على مستوى التراكيب والإيقاع، فهو تكرار مختلف الأشكال ويورد في صور مختلفة ومتعددة ومنها تكرار للحروف والأسماء والأفعال والجمل الاسمية والفعلية فهو يعد ظاهرة حيوية عامة وتجد لها صدى في اللغة فقد جاءت لغته معتمدة على الإثارة والانفعال ويتجسد ذلك في قوله:

وَما وُجِـدَ اِشتِيـاقٌ كَاِشتِياقـي وَلا عُـرِفَ اِنكِماشٌ كَاِنكِماشـي

فَسِرتُ إِلَيكَ في طَلَبِ المَعالي وَسارَ سِوايَ في طَلَبِ المَعاشِ(2)

ومن الكلمات التي تكررت في شعر المتنبي نجد كلمة «اشتياق» وكلمة «انكماش» وفي البيت الموالي نجد أيضا تكرار كلمة «سرت» و«طلب» وهذا التكرار لفظي اعتمده المتنبي في شعره، كما نجد أنه استعمل كلمات تمنح القصيدة إيقاعا، كما ساهمت هذه الكلمات في الموقف النفسي الذي يشعر به المتنبي في حياته وكانت هذه الكلمات تعبيرا عن انكساره ومن هنا نستنتج أن هذا التكرار للكلمات ساعد في التشكيل اللغوي كما ساعد في التعبير عن نفسية المتنبي المتوهجة وشعوره بالانتماء وهو عند سيف الدولة حيث يقول «سرت» أي أتيت إلى المكان الذي أشعر فيه بتحقيق طموحي ومعالي فإن نفسية متنبي تروق في ذهابه إلى سيف الدولة وشعوره بالانتماء عنده وكان هذا التكرار اللفظي ساهم في تجسيد انتماء المتنبي وتحقيق مطلبه عند سيف الدولة.

ومن عناصر التكرار أيضا نجد تكرار الضمائر ومن بين هذه الضمائر «أنا».

---

(1). سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2013، ص ص284، 285.

(2). ديوان المتنبي، ص296.

كرر المتنبي ضمير (أنا) عدة مرات وبطريقة متعاقبة فهو يبني شعوره عليه في كل مرة، فقد تجسد ذلك في قوله:

أَنا اِبنُ اللِقاءِ أَنا اِبنُ السَخاءِ أَنا اِبنُ الضِرابِ أَنا اِبنُ الطِعانِ
أَنا اِبنُ الفَيافي أَنا اِبنُ القَوافي أَنا اِبنُ السُروجِ أَنا اِبنُ الرِعـانِ(1)

لقد تعدد تكرار ضمير (أنا) في البيتين حوالي ثماني مرات، فهي تعطي لتعبير قوة وإثارة فهو تعبير على النفس المتوهجة، فقد استعمل المتنبي ضمير يبني عليه في كل مرة معنى جديد، حيث ساهم في تجسيد لغته الشعرية وكان الضمير أنا مرتبط بالتعالي والفخر والتكرار دليل على شعور المتنبي بقوته فهو يرى في نفسه هو الانتماء، أي أن نفسه هو المكان الذي يرتاح لها والرجوع إليها ويهدف من تكرار أنا هو افتخاره بنفسه فهو يراها موطن له، واعتلاء نفسه وعظمتها.

فقد كان وراء تكرار الألفاظ والضمير هو إبراز المكان الذي ينتمي إليه شاعرنا فضمير (أنا) كان محل انتماء لشاعر ولهذا كانت للألفاظ اللغوية دور كبير في إبراز المكان.

2. التضمين:

لم تكن اللغة ملكية خاصة فهي كما قال الجاحظ ملقاة على قارعة الطريق، لا يمكن لأحد ادعاء امتلاكها، ولذلك لم يكن لأي شاعر ادعاء ملكية خاصة للشعر، بل كان أمرا مشاعا يراه من جاء بعدة نقطة تنوير ومساحة انبعاث للأفكار، فلم يحتكر قولا ولم يَرْمِ مقتبس أو مضمن بتهمة السطو على ممتلك خاص، وان اسماه البلاغيون سرقة أو اقتباسا أو تضمينا.

(1). ديوان المتنبي، ص571.

والتضمين أسلوب بلاغي يرى النقاد في تعريفه أنه «مجموعة من النصوص التي تتداخل في نص معطى، وعلى هذا فهو نوع من تأويل النص»(1)، أو «هو الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة عليها»(2)، فـ«كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى»(3).

ويشمل التضمين عدة مصادر وهي التضمين من القرآن الكريم والأحاديث والشعر وغيرها من المصادر ومن الأمثلة التي ضمنها المتنبي من القرآن نحو قوله:

دَعَوتُكَ عِندَ اِنقِطاعِ الرَجا ءِ وَالمَوتُ مِنّي كَحَبلِ الوَريدِ(4)

ومن خلال هذا البيت الشعري نجد أن المتنبي قد ضمنه من القرآن الكريم الذي ورد في قوله تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»(*)، فقد اعتمد المتنبي في هذا البيت على القرآن الكريم فقد ساهم التضمين في التعبير الشاعر على معاناته في السجن وعدم الانتماء إلى هذا المكان فهو يدعو السلطان إلى إخراجه، فالقرآن كان المصدر الذي عاد إليه المتنبي في بناء شعره ومن خلال هذا نستنتج أن ظاهرة التضمين ساعدت في إبراز المكان التي يتواجد فيه المتنبي وهو في السجن وعدم شعوره بالانتماء في هذا المكان، جسد المتنبي في شعره أيضا الحديث النبوي الشريف ومن أمثلة ذلك قوله:

(1). نور الهدى لوشن، التنياص بين التراث والمعاصرة، مجلية جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، صفر 1424هـ، (ج5)، ص ص1021، 1022.

(2). محمد بنين، الشعر العربي الحديث بنيانه إبدالاتها، الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، ط1، 1990 ،ج3، ص ص183،185.

(3). أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2000، ص12.

(4). ديوان المتنبي، ص164.

(*). سورة ق الآية16.

رَفعتْ بكَ العرَبُ العِمادَ وَصَيّرَتْ قِمَمَ المُلُوكِ مَوَاقِدَ النّيرانِ

أَنســـــابُ فَخرِهِمِ إِلَيكَ وَإِنَّمـــــا أَنسابُ أَصلِهِمِ إِلى عَدنانِ(1)

وفي هذا البيت نستنتج أن المتنبي كان يفتخر بأفعال سيف الدولة أمام العرب وكان في أعلى درجة ممالك وجعلته العرب في أعلى قمم فهو كان محل افتخارهم.

فقد ضمن المتنبي شعره من قول الرسول ﷺ: «كذب الناسبون... عدنان»(2).

كانت هذه الظاهرة اللغوية قد ساهمت في شعور المتنبي بالانتماء وتواجده في بلاط سيف الدولة وحضوره لمعارك سيف الدولة، فهو يفتخر بمجهوداته التي كان يحلم في استرجاع قوة العرب من الروم.

لقد اهتم المتنبي بنوع من البلاغة في شعره ومن بين أشكال البديع الأكثر حضورا وهي:

4- المحسنات البديعية: وقد لجأ المتنبي إلى محسنات بديعية من بينها:

أ. الطباق: وهو الجمع بين الكلمة وضدها في الكلام الواحد، حيث نجده بكثرة في شعره وذلك في قوله:

بَلَغتُ بِسَيفِ الدَولَةِ النورِ رُتبَةً أَثَــرتُ بِها مابَينَ غَــربٍ وَمَشــرِقِ

أَنصُر بِجودِكَ أَلفاظاً تَرَكتُ بِها في الشَرقِ وَالغَربِ مَن عاداكَ مَكبوتا(3)

---

(1). ديوان المتنبي، ص569.

(2). علاء الدين علي المتقي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، جزء السابع، ص149.

(3). ديوان المتنبي، ص ص 336، 119

إن في هذه الأبيات افتخار المتنبي بسيف الدولة وما بذله من اجتهادات في الحرب فهو كان محل إنارة الغرب والشرق فهنا نلاحظ كلمة (غرب ≠ الشرق) طباق الإيجاب

وفي قوله أيضا:

تَظَلُّ مُلوكُ الأَرضِ خاشِعَةً لَــهُ   تُفارِقُهُ هَلكــى وَتَلقاهُ سُجَّـدا

وَتُحيِي لَهُ المالَ الصَوارِمُ وَالقَنا   وَيَقتُلُ ما يُحيِي التَبَسُّمُ وَالجَدا(1)

كما نلاحظ هنا أيضا توظيفه للطباق وذلك في كلمة

(تفارقه ≠ تلقاه) ، (تحي ≠ يقتل)

نرى في هذه الأبيات أن الطباق يتنوع بين الأسماء والأفعال وقد استخدمها المتنبي لتجديد والاستمرارية.

ب. الجناس:

فهو بعد من الصور البديعية التي اعتمد عليها المتنبي في شعره وهي تكراره للحروف مما يولد موسيقى داخلية في شعره، وهذا ما يجعل شعره أكثر جمالية ونجده في مدحه سيف الدولة يقول:

وَعُــــزْفَاهُمِ انــي فِــي مُكَارمـــه   أَقَلْبَ الطَّرَفِ بَيْنَ الْخَيْلِ والخـول

أقِلْ أنِلْ أقْطِع احملْ علّ سلِّ أعدْ   زِدْ هشّ بشّ تفضّلْ أدنِ سُرَّ صِلِ(2)

وفي هذه الأبيات نجد أن الشاعر يمدح سيف الدولة ويمجده على إنجازاته العظيمة التي قدمها للعرب، كما ذكر المتنبي صفة الكرم التي تتجلى في سيف الدولة، كما وظف عنصر الجناس الناقص في هذا البيت ليضيف إلى شعره زخرفا.

(1). ديوان المتنبي، ص145.

(2). المصدر نفسه، ص407.

فقد كانت كلمة الخيل دليل على الحرب وما قدمه سيف الدولة، ولهذا وظف الجناس ليقدم شعره في صورة مدحية وفي البيت الموالي نلاحظ كيف كانت صياغته لأفعال الأمر بطريقة رائعة وتتمثل في: (أقل، أنل)، (عل، سل)، (هش، بش).

نستنتج في الأخير أن المحسنات البديعية التي وظفها المتنبي في أبياته قد كانت تعبيرا عن إنتماء المتنبي وهو يخوض الحرب مع سيف الدولة، كما لعبت دورا كبيرا في التعبير الشاعر لمحبته لسيف الدولة ومدحه على خصاله العظيمة التي قدمها، وفي الأخير نستنتج أن المحسنات البديعية ساهمت في إبراز مكان الشاعر عند سيف الدولة.

ثانيا: الآليات الفنية:

1. الصور الشعرية:

يعد مصطلح الصور من المصطلحات غير المحددة، ولذلك كثرت مفاهيمها وتعددت بتعدد الدراسات والدارسين، حتى بدت تحديداتها غير متناهية، وصار مفهومها شائعا بين قسم كبير من الدارسين(1)، ومن الدارسين نجد الدكتور علي عشري زايد الذي يرى أن مصطلح الصورة من المصطلحات غير المحددة المفهوم في المجال الأدبي والتي تدخل في تكوين ثلاث من المصطلحات النقدية وهي الصورة الشعرية والصورة الأدبية والصورة الفنية، فالمصطلح الأول هو أضيق المصطلحات الثلاثة لانحصاره في الشعر، وأما الثاني فيتسع ليشمل كل الفنون الأدبية شعرية كانت أم نثرية، في حين أن الثالث يلم بأطراف من الفنون الأخرى غير القولية، وإن كان يظل أكثر التصاقا بالفنون الأدبية(2).

---

(1). ينظر: بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العرب، ، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص19.

(2). ينظر: علي عشري زايد، الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني، بحث خاص بكتاب دورة أبو فراس الحمداني مؤسسة جائزة عبد العزيز مسعود البابطين، ، (الجزائر)، ط1، 2002م، ص229.

ومدام منطلق بحثنا شعرا، فنتطرق إلى الصورة الشعرية والتي يعرفها (دي لويس): «إنها في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات، إن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة، أو أن الصورة يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض ولكنها توصل إلى خيالنا شيئا أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية»(1).

أ. الصور التشبيهية:

لقد كان للتشبيه دور كبير في تبيان الانتماء المكاني في شعر المتنبي، فقد انطلق المتنبي كغيره من الشعراء من الواقع والتراث، فاستقى منها ووصفها في قالبه الخاص الذي أضاف عليه لمسته الخاصة من روائع الصور وخاصة في ذكر حياته المتنقلة من مكان إلى مكان، وكذلك ذكره لممدوحه وخاصة سيف الدولة، فنجده في هذا البيت يقول:

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ   كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهِمُ(2)

هنا تشبيه تمثيلي شبه من خلاله الشاعر صورة الجثث المترامية فوق جبل الأحيدب بالعروس التي تنثر عليها الدراهم؛ أي تشبيه صورة بصورة.

فالمتنبي يبين من خلال هذا البيت قوة وصمود سيف الدولة في الحروب، كذلك الإشارة إلى أنه جزء من هذا الانتصار، فهو يحمل نوازع الابتهاج التي يحملها أميره، فجبل الأحيدب أصبح جزءا من تاريخ سيف الدولة في كل خطواته ويعتبره المتنبي أيضا جزءا من انتمائه لهذا التاريخ المجيد الذي يكتب حينها.

ونجده في بيت آخر يقول:

تُهابُ سُيوفُ الهِندِ وَهــيَ حَدائِدٌ   فَكَيفَ إِذا كــانَت نِزارِيَّةً عُربــا

---

(1). علي عشري زايد، الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني، ص230.

(2). ديوان المتنبي، ص474.

وَيُرهَبُ نابُ اللَيثِ وَاللَيثُ وَحدَهُ فَكَيفَ إِذا كانَ اللُيوثُ لَهُ صَحبا
وَيُخشى عُبابُ البَحرِ وَهوَ مَكانَهُ فَكَيفَ بِمَن يَغشى البِلادَ إِذا عَبّا(1)

لقد ذهب المتنبي في هذه الأبيات إلى تشبيهات متتابعة، حيث جعل مقاتلي سيف الدولة سيوفا وزادها فضلا على السيوف الحقيقية، حيث جعلها منسوبة إلى أكرم قبائل العرب (نزار)، فزادها قيمة ومكانة لما تحمله العروبة من معاني التضحية والشجاعة، ثم عاد ليجعل ممدوحه ليثا يهاب لذاته فكيف إذا أحاط به أصحابه من الليوث وفي البيت الأخير جعل سيف الدولة بحرا يخشاه الجميع وهو مستقر في مكانه ويتساءل كيف بهم إذا جاءتهم أمواجه المتلاطمة تجتاحهم في بلادهم، فمن خلال هذه الأبيات يتبين مدى قوة وشجاعة سيف الدولة في الحروب، وهذا ما جعل المتنبي يعكس هذه الصورة الفنية ليبرز هيبة ورعب الممدوح وخاصة في تشبيه سيف الدولة بالأماكن الطبيعية التي تخشاه من شجاعته وعزمه. إن انتماء المتنبي للمكان جعله يعكس صورته في ممدوحه سيف الدولة.

كما نجد المتنبي في بيت آخر يسترجع الماضي، بذكره للمواضع بالكوفة وذلك شوقا وحنينا إليها حيث يقول:

تَذَكَّرتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبارِقِ مَجَرَّ عَوالينا وَمَجرى السَوابِقِ
وَصُحبَةَ قَومٍ يَذبَحونَ قَنيصَهُم بِفَضلَةِ ما قَد كَسَّروا في المَفارِقِ
وَلَيلاً تَوَسَّدنا الثَوِيَّةَ تَحتَهُ كَأَنَّ ثَراها عَنبَرٌ في المَرافِقِ
بِلادٌ إِذا زارَ الحِسانَ بِغَيرِها حَصى تُربِها ثَقَّبنَهُ لِلمَخانِقِ(2)

(1). ديوان المتنبي، ص44.
(2). المصدر نفسه، ص338.

هنا يتذكر الشاعر الموضع الذي بين الغريب وبارق بعد مفارقته له، فهو يستذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وصحبة القوم أشداء السواعد، لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال، وكذلك يقول المتنبي أنهم يتخذون التوية وهو مكان بالقرب من الكوفة اتخذوه مخدات لهم للنوم عليه وشبه ترابها برائحة العنبر التي تريح في مرافقها، وكأن حصى تلك الأرض در وياقوت، يجعل النساء ينظمنه في عقودهن لحسنه وبهائه.

نستخلص من هذه الأبيات أن المتنبي مهما جال في الأمكنة كلها إلا أنه لن ينسى المكان الأول والحقيقي الذي ينتمي إليه وهذه الصورة الفنية تبين حبه لبلده والذي جعلها تريح بالعنبر وتشبيه حجرها بالدر لأنه يوضع في عقود النساء، فمن خلال هذه الأبيات التشبيهية، نلاحظ أن المكان هو جزء من التشكيل الفني للصور، ففي هذه الصورة يتحدث ويشير إلى الأمكنة التي زارها.

ب- الصور الاستعارية:

عمد المتنبي إلى الاستعارة في بناء بعض الصور الشعرية وأعطاها قيمة لا تقل عن قيمة التشبيه، حيث نجده يشرح جماليات المكان في شعره وذلك من خلال استرساله بوصف المعركة، فيذكر نهر الفرات وما حدث حوله من قتال قائلا:

وَرُعنَ بِنا قَلبَ الفُراتِ كَأَنَّما تَخِرُّ عَلَيهِ بِالرِجالِ سُيولُ

يُطارِدُ فيهِ مَوجَهُ كُلُّ سابِحٍ سَواءٌ عَلَيهِ غَمرَةٌ وَمَسيلُ

تَراهُ كَأَنَّ الماءَ مَرَّ بِجِسمِهِ وَأَقبَلَ رَأسٌ وَحدَهُ وَتَليــلُ(1)

هنا يصف الفرات لما عبرت عليه كثرة الجيوش التي خاضته، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا لأن الروع يكون في قلب الإنسان.

(1). ديوان المتنبي، ص ص414، 415.

وفي بيت آخر يقول:

سَحَائِبُ يَمْطُرْنَ الحَديدَ علَيهِمِ فكُلُّ مَكانٍ بالسّيوفِ غَسيلُ[1]

في هذا البيت استعارة وهي صورة رائعة في وصف المعارك، تلك التي من قوة البأس فيها كادت أن تتحول إلى حدث أسطوري، يكون فيها الحديد مطرا ينزل من السحب، لتعم أرجاء المكان لغسلها، فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه الدماء، ويرسل الشاعر مع ذاك التصوير رسائل التهنئة والتعظيم بنصر سيف الدولة، وتأكيده على ولائه المطلق لملكه، ووفائه لتاريخه أي تاريخ الموصل أرضا وشعبا وحضارة وتاريخا.

كما نجد المتنبي يستخدم أيضا الاستعارة وذلك في تصوير القتال من خلال تشخيص الأرض بوصفها مكان الحدث حيث يقول:

والطّعنُ شَزْرٌ والأرْضُ واجفةٌ كأنّما فــي فُؤادِهــا وَهَــلُ
قَد صَبَغَت خَدَّها الدِماءُ كَمـا يَصبُغُ خَدَّ الخَريدَةِ الخَجَلُ[2]

هنا يصف المتنبي الأرض أنها تتحرك ومضطربة من شدة الحروب، حيث استعار لها قلبا بداخلها من كثرة الخوف، وكذلك نجده في البيت الثاني يشبه خد الأرض الملطخة بالدماء كخد الجارية التي تحمر وجهها من الخجل.

من خلال هذه الصور الاستعارية يتبين لنا أن المتنبي لجأ إلى هذه الصور الشعرية لإبراز المكان وانتماءه إليه حيث يعكس ويصور إحساسه وحبه وولاءه لمكان انتمائه مكان إمارة سيف الدولة بصور متعددة وفي قوالب جميلة.

---

(1). ديوان المتنبي، ص414.

(2). المصدر نفسه، ص137.

ج- الصور الكنائية:

استخدم المتنبي الكناية ووظفها في بناء الصورة الشعرية، وعبر من خلالها عن أحاسيسه وأفكاره، وهي نوع من التعبير الفني الجميل، وتتمثل في لفظ أطلق وأريد به غير معناه الحقيقي، مع جواز المعنى الأصلي.

وهذا ما نجده عند المتنبي الذي لجأ إليه لإبراز ممدوحيه وخاصة سيف الدولة حيث يقول:

إِذا اِعتَلَّ سَيفُ الدَولَةِ اِعتَلَّتِ الأَرضُ   وَمَن فَوقَها وَالبَأسُ وَالكَرَمُ المَحضُ(1)

نلاحظ هنا كناية في قوله "من فوقها" كناية عن كل الموجودات وخاصة الإنسان، فالأمير محبوب يهتم ويعتل لاعتلاله كل المحيطين به، وهذا دليل على تعظيم الشأن وتوكيد الخصال والهيبة لسيف الدولة، كما نلاحظ أن المتنبي في شعره يربط مقام سيف الدولة بالأرض وذلك لرغبته في ذلك المكان وانتمائه إليه.

ويقول في بيت آخر مصورا نفسه في المكان:

ففي فؤاد المحب نار هوى   أحر نار الجحيم أبردها(2)

هنا كناية عن ألم الفراق والبعد حتى لأن آلام احتراق نار الجحيم أبردها أمام ما يكابده العاشق من آلام الجوى والفراق.

ويقول أيضا:

وَكَم مِن جِبالٍ جُبتُ تَشهَدُ أَنَّني الـ   ـجِبالُ وَبَحرٍ شاهِدٍ أَنَّني البَحرُ(3)

---

(1). ديوان المتنبي، ص298.

(2). المصدر نفسه، ص22.

(3). المصدر نفسه، ص271.

كذلك نلاحظ في هذا البيت أن المتنبي يرى نفسه أكبر وأعظم من الأمكنة، حيث نجده يضع لنفسه عناصر طبيعية تماثل البحار والجبال في عظمة الرسوخ والسعة والوقار.

من خلال هذه الأبيات نستنتج أن شاعرنا المتنبي كان يستخدم الأرض والجبال والبحر في أشعاره لأنه كان يراها أكثر أشكال المكان تفخيما لخصال الإنسان.

وفي بيت آخر بصف قلعة الحدث التي بناها سيف الدولة في بلاد الروم حيث يقول:

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ(1)

في هذا البيت صورة كنائية عن كثرة الدماء التي سفك في قلعة الحدث، وكذلك تحدث المتنبي عن سيف الدولة الذي استرجع هذه القلعة، التي لم تعش الأمان إلا بعد قهر الروم والإيقاع بهم من طرف الأمير والاستيلاء عليها.

وبأمان المكان نشعر بميل المتنبي للانتماء للمكان وذلك في توظيفه في شعره عندما يصف حروب سيف الدولة، وقوله أيضا:

بأي بلاد لم أجر ذوائبي وأي مكان لم تطأه ركائبي(2)

هنا أيضا يؤكد المتنبي بأسلوب الكناية كثرة حضوره مع سيف الدولة أو بدونه، في أماكن كثيرة لا يمكن إحصاؤها، كناية على كثرة عددها، وكذلك مباهاته بشجاعته فلا أرض سلمت من وطأ ميسمه المستمر، فهو يعرف الأرض وهي شاهدة على بطولاته.

(1). ديوان المتنبي، ص472.
(2). المصدر نفسه، ص 90.

من خلال ما سبق نلاحظ انتماء المتنبي للمكان، جعله يوظفها في أشعاره عن طريق أحاسيسه وتخيلاته، وذلك لأن المكان كان يمتلك عليه تفكيره، متحكما فيه جعله يجول في كل البلاد لاكتشافها، وكذلك رغبة في تحقيق مراده وأهدافه، وهذا لأنه عرف جوالا لا أرض ينتمي إليها لذلك كان حديثه عن المكان صورة من رغبة الشاعر في امتلاك بقعة ارض يكون ولاؤه لها مطلقا، وبما انه لم يكن ذلك متاحا حاول الاجتهاد في البحث عن أرض تقنع طموحه وتحتوي نفسه الكبيرة، إلا أنه في الأخير رأى أن رحلة بحثه عن أمله قد تكللت بالفشل فلا أرض استطاعت أن ترضي شغفه وتحقق له ما أراد، حتى السنوات الثمانية التي اعتقد فيها انه حقق هدفه في أرض الموصل في كنف سيف الدولة، أيقظته الحقيقة على أنها سراب لا حقيقة.

ثانيا: الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي:

لجأ المتنبي إلى استخدام الأساليب الخبرية في توصيله المعنى باعتبارها الجسر الذي يعبره الكاتب في توصيله للمعنى إلى المتلقي وهذا ما نجده في شعر المتنبي.

أ. الأسلوب الخبري:

وهو الكلام الذي يمكن الحكم عليه بالصدق والكذب، حيث نجد المتنبي يستخدمه في شعره قائلا:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفـــارقهم فالـــراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم(1)

(1). ديوان المتنبي، ص 469.

نلاحظ في هذا البيت استخدام المتنبي للأسلوب الخيري وذلك لنقل الحقائق وتأكيدها ونجد شرح ابن القطاع يقول: «رحلت عن المكان: انتقلت، ورحلت غيري: ونقلته وسفرته ومعناه: إذا ترحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك، فالراحلون عنك هم، والمعنى: أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته»(1).

وفي البيت الثاني يخبرنا بأن سر البلاد مكان لا يوجد فيه من يؤنس بحبه ووده وسر ما يكسب الإنسان هو من يذله.

ويقول في بيت آخر:

كأنني دحوت الأرض من خبرتي بها

وكأني بني الاسكندر السد من عزمي(2)

في هذا البيت يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض حتى عرفها كلها، وذلك بعزمه الغير متناه، الذي أكسبه الخبرة والدراية بأمكنة الأرض وما فيها من ناس وظروف وأحداث فقد استخدم المتنبي أيضا الأسلوب الخبري في هذا البيت وذلك في سرد حقيقة حبه للمكان وانتمائه له من خلال كثرة أسفاره وعزمه عليها.

ب. الأسلوب الإنشائي: وهو الكلام الذي لا يمكن الحكم عليه بالصدق والكذب.

حيث نجد المتنبي يتحدث عن إحساسه بتملك قيمة العز وذلك في قوله:

فاطلب العز في لظى ودع الذ ل ولو كان في جنان الخلود(3)

---

(1). عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص1305.

(2). ديوان المتنبي، ص 502.

(3). المصدر نفسه، ص 156.

نجد المتنبي يستخدم في هذا البيت أسلوب إنشائي طلبي غرضه الأمر، وذلك في طلبه العز ولو كان في جهنم في هذا البيت نلاحظ مبالغة المتنبي في طلب العز والبعد من الذل، فهنا نلاحظ تقابل محكم بين الجنة والنار.

إن قيمة المتنبي وحبه لذاته وكرامته وعزة نفسه جعلته يختار المكان الذي يناسبه مهما كانت قسوتها فهنا يختار العز في النار ولا الذل في الجنة فنستنتج أن المتنبي يرى انتماءه في ذلك المكان الذي يجد فيه العظمة وقيمة العز.

وقال في مدح سيف الدولة:

فمر وأومئ تطع قدست من جيل تباركا الله مجرى الروح في حضن(1)

هنا أيضا أسلوب إنشائي غرضه الأمر، فهنا نلاحظ أن المتنبي ابتدأ بيته بفعلين وهما (مر، أوم) أي مر من شئت وأمتي لمن تزيد، لأنك مطاع، وكذلك نلاحظ تشبيه المتنبي مفاده الرفعة وعلوا الشأن والسلطة، لأن سيف الدولة كان يأمر من يشاء وينهى من يشاء.

إن حب المتنبي لممدوحية جعله يذكرهم في أشعاره و يصنفهم بأمكنة طبيعية وذلك لرفعة مكانتهم وشأنهم وخاصة سيف الدولة لأنه كان يرى أن انتماءه للمكان مرتبطا بممدوحية سيف الدولة الحمداني.

---

(1). ديوان المتنبي، ص 582.

خاتمة

وفي الأخير توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى عدة نتائج نوردها في الآتي:

- المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني، ومدى ارتباط الإنسان بالمكان من خلال تعميق الشعور به.
- الانتماء ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زمانا ومكانا.
- يرى المتنبي أن ذاته المتعالية أكبر وأعظم من الأمكنة التي زارها.
- إن أول إحساس حقيقي بالانتماء في حياة المتنبي هو حي كندة بالكوفة.
- إن شجاعة سيف الدولة كانت مصدر لجوء المتنبي والانتماء إلى هذا الأمير، واعتبرها المتنبي فترة استقرار.
- أبدع المتنبي في وصفه للمعارك سيف الدولة وذلك حبا لتلك الأماكن مثل (قلعة الحدث، جبل الأحيدب، الفرات، جيجان، دلوك، صنجة...).
- فارق المتنبي سيف الدولة جسديا إلا أنه بقي يكن له مكانة خاصة في قلبه.
- إن لجوء المتنبي إلى مصر كان طمعا في إمارة من إمارات كافور الإخشيدي.
- انتقام المتنبي من كافور الإخشيدي عن طريق الهجاء والعدوانية.
- انهزام الشاعر أمام كافور وعدم تحقيقه لطموحاته، وهذا ما أضاف خيبة جديدة بعد سيف الدولة.
- استعان المتنبي بآليات لغوية وآليات فنية من صور شعرية ومحسنات بديعية ساهمت في توضيح المعنى وإبراز المكان وإعطاءه أهمية.

ونسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا إنه سميع مجيب.

ملحق

التعريف بالشاعر:

مولده ونسبه:

أبو الطيب المتنبي«هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكِنْدي الكوفي ولد بالكوفة سنة ثلاثة وثلاثمائة في محل تسمى كندا، فنسب إليها(...) يقال أن أباه كان سقاءا بالكوفة، ثم انتقل بالشام إلى ولده، ونشا ولده بالشام»(1)

حياته:

« ذهب الشاعر إلى الشام في صباه وجالا في أقطابها، ومازال إلى أن النبوة ادعى في بادية السموات وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إلى لؤلؤ – أمير حمص نائب الأخشدية– فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا، ثم استتابه وأطلقه، ومن ثم سمى المتنبي»(2)

وبعد خروج المتنبي من السجن انتقل من أمير إلى أمير ومن ملك إلى ملك آخر يمدحهم ويهجو أعدائهم، وكان أيضا يهجوا ممدوحيه إذا تركهم« فالتحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة سبعة وثلاثين وثلاثمائة – ومازال منقطعا له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خلوية – النحوي– كلام في مجلس من مجالس سيف الدولة، فوثب ابن خلوية عن المتنبي، فضرب وجهه بمفتاح كان معه، فنتجه، وخرج دمه يسيل على ثيابه فغضب وفارق سيف الدولة(3)

وهكذا انتقل المتنبي إلى مملكة أخرى وإلى ممدوح آخر يمدحه ويمدح فصالة،« فذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الأخشيدي، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه بنفسه، خافه وعوتب فيه» ولما رحل

(1) عبد الرحمان البرقوقي شرح ديوان المتنبي، ص 15

(2) المرجع نفسه، ص 16

(3) المرجع نفسه، صفحة نفسها

عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بوية الديملي فأجزل جائزته. وكذلك مدح ابن العميد ولما رجع من عند عضد الدولة قاصدا بغداد قم إلى الكوفة»[1]

نلاحظ من خلال حياة المتنبي أن تميز بالتنقل من مكان إلى مكان ومن ملك إلة ملك آخر، يتقرب منهم بالمدح ولكن عندما لا ينال ما يريده منهم يهجوهم ويقصد ملوكا آخرين وهكذا.

شيء من أخلاقه وشمائله:

« حدث علي بن حمزة قال: بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، بلوت منه ثلاث خلال مذمومة وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ أو القرآن...، وقال ابن فروجة: كان المتنبي رجلا داهية، مر اللسان، شجاعا، حافظا للآداب عارفا بأخلاق الملوك، ولم يكن فيه ما يتشبه إلا بخله مما استتبعه طموح، هو كبرياءه، وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء»[2]

كان طموح المتنبي لا حدود له، فقد تميز بالسمو والرفعة وذلك بسبب ذكاءه وفطنته وعلمه الواسع، فقد كان من نوابع وعباقرة عصره

شعره وخصائصه الفنية:

« شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يحدثك عما كان في عصره من ثورات، واضطرابات، ويدلك على ما كان به من مذاهب، وآراء ونضج العلوم والفلسفة، كما يمثل شعره حياته المضطربة، فذكر فيه طموحه وعلمه وعقله وشجاعته،

---

(1) عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص 16

(2)المرجع نفسه، ص 17

وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معاينة وأخيلته و ألفاظه وعباراته...» [1]

مقتله:

« كان المتنبي قد هجاضة بن يزيد الأسدى العيش يقصده شديدة، فلما كان المتنبي عائدا يريد الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه وعلامة مفلح، لقبه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال طه، وكان في جماعة أيضا فا قتل الفريقان وقتل المتنبي وابنه وعلامة مفلح بالنغماتية بالقرب من دير العقول غربي بغداد»[2]

(1) الحسيني الحسيني معدي، ديوان المتنبي، ص 10

(2) المرجع نفسه، ص 13

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

أولا: قائمة المصادر

- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012.
- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، شرح المتنبي، دار الأصالة، الجزائر، 2009.
- ناصف اليازجي، شرح ديوان المتنبي، مج2، دار صادر، بيروت، دط.

ثانيا: المراجع :

أ-المراجع العربية :

- أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2000.
- أحمد طاهر حسين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، دار البيضاء، ط2، 1988.
- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، اربد، الأردن، 2008.
- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العرب، ط1، بيروت، لبنان، 1994.
- الحسينى الحسينى معدي، ديوان المتنبي، دار الخلود للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 2012.
- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2013م.

- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2000.
- حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010.
- سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2013.
- سيزا قاسم، القارئ والنص(العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
- عبد الرحمن أفندي الشهير بحسام زادة، قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء، تح: حمدي الشيخ، المكتب الجامعي الحديث، دط، 2007.
- علاء الدين علي المتقي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، جزء السابع.
- علي عشري زايد، الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني، بحث خاص بكتاب دورة أبو فراس الحمداني مؤسسة جائزة عبد العزيز مسعود البابطين، ط1، (الجزائر)، 2002.
- فاروق أحمد اسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1998.
- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1979، ص ص 118 . 119.
- محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، .
- محمد بنين، الشعر العربي الحديث بنيانه إبدالاتها، الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، ط1، 1990 ،ج3.

- محمد جواد حبيب البدراني وجهان فيصل خليل الطائي، شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة، سكان الهلاك شامر معيوف أنموذجا، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.
- محمد عبيد صالح السيهاني، المكان في الشعر الأندلسي،(من الفتح حتى سقوط الخلافة 92هـ-422هـ)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- محمد عويد محمدساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (484هـ-897هـ)، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط4، 2012.
- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، دط، 1989.
- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دط)، (دت).

ب-المراجع المترجمة :

- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر:غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

3-الرسائل والمذكرات:

- فواز معمري، جماليات المكان في الشعر الجاهلي، المعلقات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018.

4-المجلات والمقالات:

- علي متعب حاسم ومنى شفيق توفيق، فاعلية المعادن في صورة الشعرية (سيفيات المتنبي أنموذجا) مجلة ديالي، عدد 40، 2009.

- نور الهدى لوشن، التناص بين التراث والمعاصرة، مجلية جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، صفر 1424هـ، (ج5).

5-المعاجم و قواميس :

- ابن منظور، لسان العرب، مج14، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2000.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1993.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج5، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1979.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ- ج
المدخل (الفصل النظري)	04
أولا : تعريف مصطلحي:	
1) تعريف المكان	05
أ) لغة	05
ب) اصطلاحا	07
2) تعريف الانتماء	
أ) لغة	08
ب) اصطلاحا	09
ثانيا: **المكان بين الرؤية الشعرية والإحساس بالانتماء :**	10
الفصل التطبيقي الأول	15
أولا: مظاهــر الانتماء في شعر ما قبل الاستقرار	16
ثانيا: مظاهــر الانتماء في شعر فترة الاستقرار	22
ثالثا: مظاهــر الانتماء في شعر فترة التمرد	33
الفصل التطبيقي الثاني	41

أولا: الآليات اللغوية	42
اللغة الشعرية	42
التكرار	44
التضمين	46
المحسنات البديعية	48
ثانيا: الآليات الفنية	50
1. الصور الشعرية	50
أ/ الصورة التشبيهية	51
ب/ الصورة الاستعارية	53
ج/ الصورة الكنائية	55
2- الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي	57
خاتمة	60
ملحق	62
قائمة المصادر والمراجع	66
الفهرس	70

ملخص

تناولنا في بحثنا المتواضع والموسوم بـ"الانتماء المكاني في شعر أبي الطيب المتنبي" مقدمة كانت بمثابة إحاطة عامة للموضوع، ثم مدخل حول المفاهيم التي جاءت في العنوان وهي المكان، الانتماء والمكان بين الرؤية الشعرية والإحساس بالانتماء.

ثم عرجنا إلى فصل أول واحتوى على مظاهر الانتماء عند المتنبي في شعر فترة ما قبل الاستقرار وفترة الاستقرار وأخيرا فترة التمرد.

أما الفصل الثاني، فحاولنا فيه إبراز المكان من خلال الآليات اللغوية والفنية، أما بالنسبة للخاتمة، فكانت حوصلة للموضوع.

Abstract :

In our modest study titled “Spatial Affiliation in the Poetry of Abu Al-Tayyeb Al-Mutanabi,” we dealt with an introduction that served as a general briefing on the topic, and then an introduction to the concepts that came in the title, which is the place, belonging and place between the poetic vision and the sense of belonging.

Then we referred to a first chapter and it contained the manifestations of belonging to Al-Mutanabi in the poetry of the pre-stability period, the period of stability, and finally the period of rebellion.

As for the second chapter, we tried to highlight the place through the linguistic and technical mechanisms. As for the conclusion, it was a comprehensive approach to the topic.